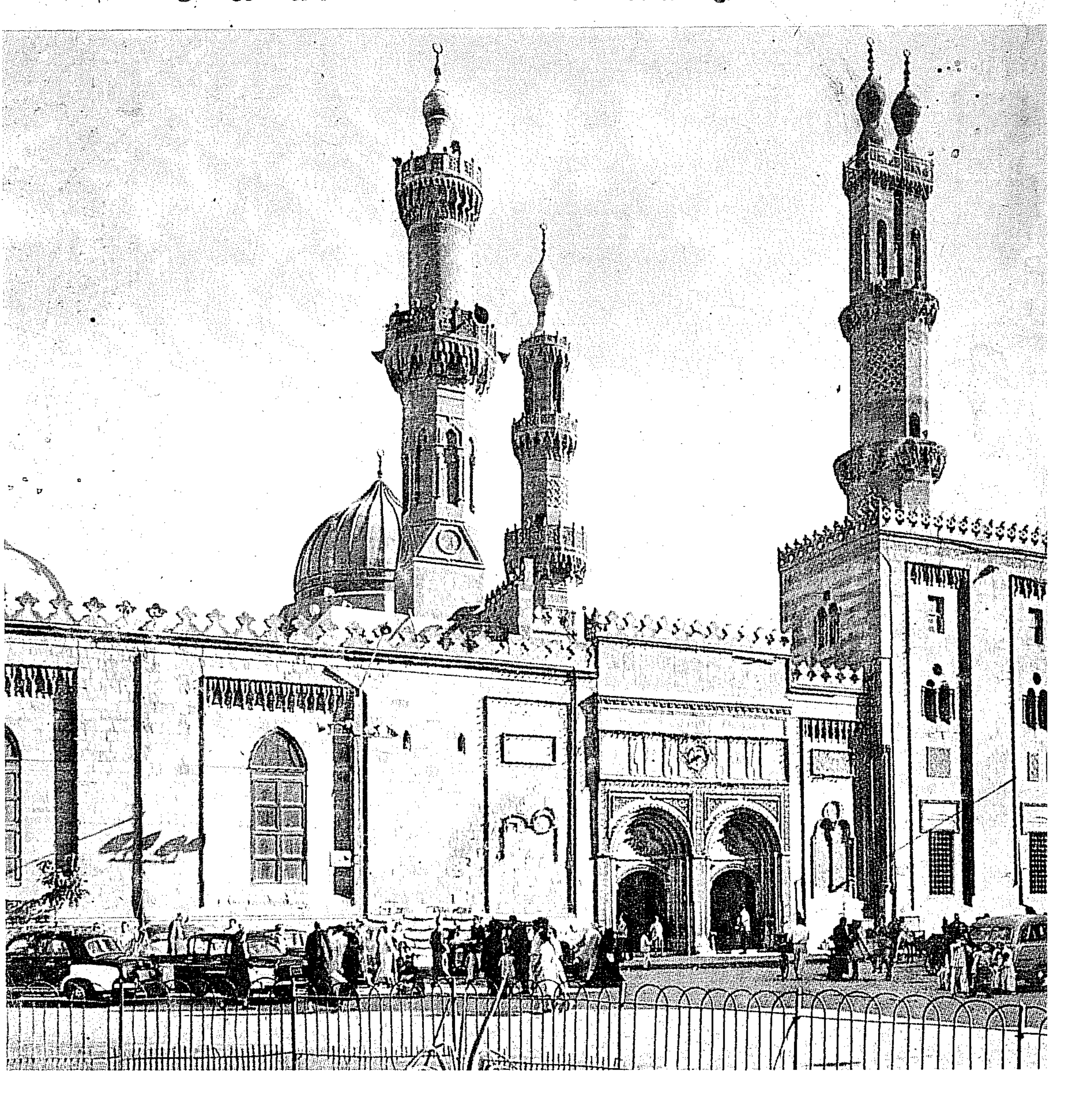
مع هذا العدد
رسالة الحج
هدية للقارىء

الوعي الإسلامي

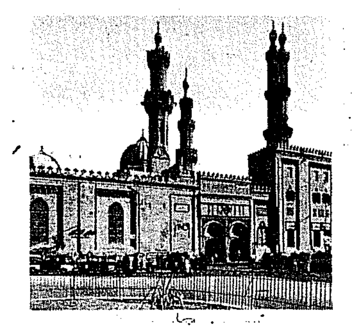
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة — العدد السابع والأربعون — غرة ذى القعدة ١٣٨٨ هـ — ١٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٩ م



اقرأ فى هذا العدد

صورة الغلاف



الجامع الأزهر ـ اسسه جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله عند بنائه مدينة القاهرة . وبدىء بانشائه فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) وتم بناؤه فى عامين وبضعة اشهر وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ (٩٧٢م) ولم يزل منذ انشائه الى الآن يحمل مشعل الثقافة الاسلامية .

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة

العدد السابع والأربعون

غرة ذى القعدة ١٣٨٨ هـ

١٩ يناير « كانون الثانى » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
مصر والسودان	٤٠ مليما
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

لعل أول الناس حملا للمسئولية تجاه الامة ، ولا سيما فى هذه الظروف الصعبة ، التى تحيط بنا هم : الحكام والكتاب ..

الحكام : باعتبارهم أصحاب الامر النافذ ، الذى يستطيعون به أن يحولوا الكلام الى عمل .

والكتاب : باعتبارهم أصحاب الكلمة الموجهة التى ترسم الطريق أمام الشعب والحكام معا ..

والحكام لهم بلا شك نزعاتهم ، ولهم اتجاهاتهم وظروفهم ، ولهم مع ذلك تفكيرهم ومنطقهم فى خدمتهم لأمتهم ، ولكنهم بلا شك يخضعون اخيرا للصالح العام لأمتهم ، لأنهم أمناء عليها وعلى مصالحها .. أو هكذا يجب أن يكونوا .. او هكذا ما يقولونه ونسمعه ..

والكتاب كذلك لهم نزعاتهم واتجاهاتهم ، وتفكيرهم ومنطقهم ، فى خدمة امتهم ، ولكنهم بلا شك يخضعون آخر الامر للصالح العام ، لأنهم يحملون أمانة الكلمة ، أو هكذا يجب أن يكونوا ، وما سمعنا من كاتب غير هذا ..

ولهذا نرى وجهات النظر تختلف بين حاكم وحاكم ، أو بين كاتب وكاتب فى الطريق الذى ينبغى سلوكه لخدمة الأمة والنهوض بها .. الا أنه من الواجب أن لا يخرجنا هذا الخلاف عن الاطار السليم ، والطريق المستقيم ، والهدف الغالى للأمة .

وكل من الحاكم والكاتب يتحمل فى سبيل النهوض بمسئوليته الكثير من المتاعب ، والكثير من الاتهامات ، توجه اليه ممن لا يتفقون معه فى رأيه .. أو ممن لا يحبونه ، ويتربصون به ..

ولست أريد الآن التحدث عن واجب الحكام ، وانما أريد التحدث عن واجبنا نحن الكتاب فى هذه الظروف ، أو عن واجب أمثالى على الاخص ، ممن يرقبون (بالرادار) الخاص بهم ، كل خطر يتهدد الأمة فى دينها ووطنها .. أو كل انحراف فى الفهم ، أو اختلاط فيه ، قد يؤدى فى النهاية الى ترك خطوط الدفاع عن دين الامة وعقيدتها مكشوفة للأعداء ، أو يؤدى الى انهيار الحصون التى يجب أن نعسكر جميعا فيها ، ونثبت أمام القذائف والعواصف التى نتعرض لها ..

والكاتب الاسلامى وسط هذه التيارات المتضاربة التى تتعرض لها أمتنا هو اشد الكتاب تعبا ، وأكثرهم تعرضا للسهام — مع أنه لا يصدر فيما يكتب الا عن كلام ربه ، وحديث رسوله ، وغيرته على دينه ووطنه ، ومع ذلك فاننى ارى او اومن بأن على هذا الكاتب أن يظل حاملا مشعله الذى امسك به ، فان أمته — حين تهب عليها العواصف — أحوج ما تكون الى هذا المشعل ، حتى لا تتخبط فى الظلمات وتضيع أمامها معالم النهج المستقيم ..

اقول هذا لأننى فى عدد رجب الماضى ذكرت فى معرض حديثى عن الحرية فى الاسلام ما كتبه أحد الكتاب الدارسين للماركسية بمناسبة حوادث تشكوسلوفاكيا ، عن عناية الماركسية بحرية الانسان ، ولكنها توقت اعطاءه هذه الحرية بانتشارها ، أو اعتناق البشر جميعا لها ، حتى لا يصبح لها أعداء يخشى منهم عليها ، وقارنت بين ذلك ، وبين نظرة الاسلام لحرية الانسان ، ومنحه اياها منذ جاء ، بغض النظر عن كثرة المعادين والمناوئين ، وقلت إن ما فعله الاسلام هو الذى يتفق مع العقل ، ويتمشى مع طبيعة الانسان ، لأن تعليق حرية الفرد فى مذهب على اعتناق البشر جميعا له تعليق على محال .. وتكون النتيجة : لا حرية !

فجاءنى خطاب من احد اخواننا المدرسين يبدى فيه اعجابه بالمجلة ، وبالمستوى الرفيع الذى تظهر به ، وبحديثى عن الحرية .. الخ .. ولكنه — مع هذا — يعتب على ، لأننى بهذه المقارنة قد أسأت الى أصدقاء وقفوا معنا فى شدتنا ، وأمدونا بالسلاح والعتاد الخ ..!!

وقد كان من الممكن أن أهمل هذا الخطاب ، أو اكتب الى صاحبه رسالة خاصة .. ولكننى وجدت أنه يحمل وجهة نظر ، أحسست أن من الخطر تركها تسرى فى أوساطنا ، ولا سيما بين المثقفين والموجهين ، ومنهم كاتب الخطاب .. لأن مؤدى وجهة النظر هذه : أنه لا يصح لكاتب اسلامى الآن أن يبين لقرائه المسلمين ، تفوق مبادىء دينهم على غيرها من المبادىء ، التى تنتشر بيننا ، وتغزونا فى عقر دارنا ، داعيا اياهم الى التمسك بدينهم ومبادئه !!

لا يصح هذا مراعاة للصداقة أو المساعدة !!

وأحب أن أبادر فأقول : اننى لست من الذين لا يقدرون للأصدقاء مواقفهم معنا ، ولست ممن يغمضون العين عن قيمة ما يمدنا به هذا أو ذاك من مساعدة مادية أو أدبية ، نحن فى حاجة ماسة اليها ، ولها قيمتها وأثرها بلا شك فى دعم موقفنا أمام عدونا ..

لست ممن يجحد للناس فضلهم ، ولا أدعو الى ذلك ، فان الاسلام علمنا أن نرد الجميل لصاحب الجميل مهما يكن ، وأن نرد التحية لصاحبها بأحسن منها (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

كما علمنا أن حبنا لقوم ، أو عداءنا لهم ، لا يجوز أبدا أن يكون على حساب الحق والعدل .

اقرأ معى من سورة النساء « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين » .

واقرأ معى من سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى

واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

هذه امور نسلم بها لأنها من قواعد ديننا ..

ولكننى لا اسلم ابدا بأن يكون رد الجميل على حساب ديننا وعقيدتنا .. او على حساب فتور أو تقصير أو انحراف فى الدعوة اليه : « فان الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها » .

لا اسلم بأن تكون نتيجة المساعدة والصداقة أن نتخلى عن خدمتنا لديننا ، أو نسكت عن اظهار محاسنه وتفوق مبادئه على غيرها من المبادىء ، ولا سيما فى الوقت الخطر الذى نرى فيه الهجمات العاتية الشرسة عليه من كل جانب .. ونرى فيه الكتب والنشرات ، والصحف والمجلات ، والأحاديث والتنظيمات ، تعمل دون كلل أو ملل ، ودون خوف أو وجل ، على منازلة الاسلام فى عقر داره ، وزحزحة الشباب عن دينهم ، ورميه بالتأخر وعدم الصلاحية للنهوض بحياتهم ..

اننى اعتقد أن اشد الناس منا حماسا لهذه الصداقة ، ورعاية لها ، ومحافظة عليها ، لا يسمح او لا يصح أن يسمح له ضميره الاسلامى ، كرجل مسلم ، أن يسكت فى مجال المقارنة بين مبادئه الاسلامية والمبادىء الاخرى عن اظهار تفوق مبادئه .. ذلك لأن المسلم الرجل هو الذى يعتز بمبادئه ، ويشيد بها فى كل الظروف .. ويبادل صديقه صداقته من جنسها ، ويرد له مساعدته على غرارها .. دون ان يؤثر ذلك على مبادئه أو عقيدته ..

ثم اننى اعتقد كذلك ان اصدقاءنا قد كسبوا من صداقتنا ، ان لم يكن اكثر مما كسبناه ، فهو مثله على الاقل ، ولا اظن أن ذلك مما يخفى على احد ، فلا اجد حاجة لبيانه .

على اننا لم نر احدا من هؤلاء قد كف عندهم عن التعريض بالاسلام ومهاجمته وحربه ، مراعاة للصداقة ، فكيف يتصور مسلم أن يسكت كاتب عن اظهار محاسن الاسلام وتفوقه ، مراعاة لصداقة هذا أو ذاك ، وفى ظروف مثل ظروفنا الآن ؟؟!!

ان من الخطر — لا على دين المرء فحسب — بل على رجولته وشرفه وشخصيته — أن يتسرب اليه ظن أو وهم مثل هذا فيرى أن من مقتضيات الصلة التى تربطنا بغيرنا من الدول أن تفتر حماستنا لمبادئنا ، أو نتخلى عن اظهار محاسنها وصلاحيتها !!

ذلك لأن العلاقات التى تقوم بين الدول مرتبطة فحسب بالمصالح الدولية ، وبالاخذ والعطاء حول هذه المصالح : سياسية كانت أم اقتصادية ، دون النظر الى اختلاف المبادىء بينها ، وهذا هو الواقع الذى نراه . والذى قرأناه على مر التاريخ .

وكل دولة وقفت مع دولة او ضدها ، انما أتخذت موقفها هذا أو ذاك على ضوء مصالحها ، ولهذا نرى كثيرا من الدول غيرت وتغير مواقفها تبعا لهذه المصالح .. فالمصالح المشتركة — اذن — هى التى تصنع المواقف وتحددها ..

فاذا جئنا نحن وادخلنا عامل الدين ، ورتبنا على ذلك شيئا من الفتور نحو مبادئنا ، فاننا نكون قد اخطأنا خطأ شنيعا ، لا فى حق ديننا فحسب ، ولكن فى حق شخصيتنا ووجودنا ، كأناس لهم مبادىء قامت أو يجب أن تقوم عليها حياتهم ، ويجب أن يخلصوا لها ..

ولقد راينا فى التاريخ القريب ابان الحرب العالمية الثانية كيف التقى المعسكران الغربى والشرقى على هدف القضاء على هتلر ، مع ما بينهما من اختلاف جذرى وعميق .

اتفقا لأن مصلحتهما كانت فى هذا الاتفاق ويومها قال تشرشل : اننى مستعد لأن اتحالف حتى مع الشيطان فى سبيل القضاء على النازية .

ومع اتفاقهما هذا ، واشتراكهما معا فى الحرب الضارية ضد هتلر لم نر معسكرا من المعسكرين تنازل عن مبادئه التى يسير عليها أو غير وبدل فى هذه المبادىء أو غض من شانها ، أو سكت عن ابداء محاسنها وصلاحيتها مراعاة للمعسكر الآخر .. مع أن المصلحة المشتركة أو المصير الواحد يجمعهما ..

فكيف يخطر لمسلم ان يعتب على ، لاننى قلت أن نظرة الاسلام الى حرية الفرد تفوق نظرة هذا المذهب أو ذاك ؟؟!!
لا يا اخى .. ان هذا خطأ فى فهم الامور ، فوق ما هو تراخ فى اخلاصك لدينك وحبك لوطنك .

ولو اخذت انا واخذ الآخرون برايك كتابا أم غير كتاب ، فى الوقت الذى لا يكف فيه دعاة المذاهب الاخرى عن تزيينها للناس بمختلف الاساليب ، لأدى بنا هذا الى ترك المجال لهم ، يفترسون عقائد الناس واتجاهاتهم ، وينتزعونهم من دينهم ومن اخلاصهم لأوطانهم .. ونكون نحن بذلك الجناة الآثمين فى حق الدين والوطن ..

لا يا اخى مرة ثانية ، وانا مثلك اقدر الجميل حق قدره ، وأحرص على رده ، ولكن لا على حساب الدين ..

ومرة اخرى : « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » .
هدانا الله الى الحق ، واعاننا على اتباعه والثبات عليه .



مدير ادارة الدعوة والارشاد

من إحاطة القرآن الكريم بالفطرة

السماء ٧ في

ما دام القرآن الكريم والفطرة كلاهما من عند الله ، فعلوم الفطرة المعروفة بين الناس بالعلوم الطبيعية التجريبية هى فى يقينياتها تفسير لما تعلق بها من آيات القرآن ، وفى نظرياتها غير اليقينية محاولات اجتهادية لتفسير تلك الآيات ، تقرب أو تبعد عن الحق ، بقدر قربها أو بعدها عما يمكن ان يفيده الكلم القرآنى من معنى فى فصيح اللغة التى نزل بها القرآن .

فالتفسير ينبغى أن يقوم على يقينيات علوم الفطرة ، وأهل القرآن من علماء الفطرة ينبغى ان يسترشدوا فى بحوثهم بما تعلق بها مما أنزل الله فى كتابه العزيز ، فهو نور بأيديهم لا بأيدى غير المؤمنين به ، ومن التضييع اغفاله ، واهمال فرص الاهتداء به جريا وراء حقائق مجهولة لا يمكن لأهل العلم اثباتها بالطرق العلمية ، لأنها فى ميادين ليس لدى العلم فيها الا الفروض والنظريات .

وقد رأينا فى المقال الأول(١) كيف كان من الممكن لفلاسفة المسلمين أن يصححوا من الفلسفة اليونانية الفلكية بعض ما صحح علم الفلك الحديث ، لو أنهم اختبروها وامتحنوها بما يفيده الكلم القرآنى فى نحو قوله تعالى (كل فى فلك يسبحون) فى الآية (٣٣) من سورة الأنبياء ، وكيف كان من الممكن لمثل الزمخشرى أو الفخر الرازى من المفسرين أن يسبق علم الفلك الحديث الى حقيقة فلكية استنبطها حتى اثبتها عن طريق المشاهدة رجال السفن الفضائية لما ارتفعت بهم عن جو الأرض ، ورأوا السماء سوداء حالكة والشمس طالعة . ولم يكن بين مفسرى القرآن والكشف عن هذه الحقيقة عن طريقه ، الا الوقوف عند ظاهر قوله تعالى (وأغطش ليلها) فى موضعه من سياق آيات سورة النازعات ، وتجنب تأويل دلالة الليل مضافا الى الضمير الراجع الى السماء .

أما وقد تقدم علم الفلك الحديث ذلك التقدم الباهر فليس أمامنا الآن الا الاستعانة بكشوفه الفلكية على تفسير ما لم نتأمله من تلك الآيات الكريمة ، واستتمام تفسير ما تأملنا

(١) عدد ربيع الأول .

القرآن وفي العلم

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

منها فى المقال الثانى(٢) ، اذ لا يزال فى (بناها) من قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها) مجال واسع للتأمل فى ضوء ما تعلق بالسماء من الآيات القرآنية ومن حقائق علم الفلك الحديث .

الامام محمد عبده

وقد رأينا فى ذلك المقال كيف أن الامام الشيخ محمد عبده فسر (بناها) فى آية النازعات وآية سورة الشمس بأن الله سبحانه (جعل كل كوكب من الكواكب منه — أى من الكون — بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك ، وشد هذه الكواكب بعضها الى بعض **برباط الجاذبية العامة** كما تربط أجزاء البناء الواحد **بما** يوضع بينها مما تتماسك به) فكان هذا التفسير منه رحمه الله فتحا ، ليس فقط لأنه فسر آية ، أو جملة قرآنية بسنة كونية ، كشف عنها العلم الحديث ، ولكن أيضا لأنه عمليا وضع مبدأ الأخذ بيقينيات العلم وحدها فى التفسير ، لأنه لم يفسر الآية الكريمة على أساس فرض علمى أو نظرية ، ولكن على أساس قانون عام ثبت بالتجربة العلمية ، وبالبحث الرياضى ، وبالأرصاد الفلكية .

ثم هو رحمه الله قد بين بمسلكه هذا أن المتعرض لتفسير الآيات القرآنية الكونية ينبغى عليه أن يلم ولو بجانب صالح من الحقائق العلمية المتصلة بموضوع الآية المراد تفسيرها ، مع مراعاة الدقة الواجبة فى التطبيق ، والشيخ الامام قام بذلك بمجهوده الخاص عن طريق لغة أوروبية كان يعرفها . وليس كل عالم دينى مفسر كالاستاذ الامام ، فالاولى والأنفع أن يؤسس للمجهود الخاص الذى لا غنى عنه فى تتبع النمو العلمى بتدريس مقرر مختار من الحقائق العلمية ، على الأخص ، المتعلقة بالآيات القرآنية الكونية حسب ورودها فى مقررات علم التفسير فى الجامعات الاسلامية وأهمها جامعة الأزهر الشريف .

القرآن والجاذبية

فلنتمم ما بداه الامام رحمه الله عن

(٢) عدد شعبان ..

الجاذبية العامة وأثرها فى بناء السماء ، مما نبه الله عباده اليه فى آيات من كتابه ، كل منها يدل على جانب من مميزاتها ، لله فيه آية تهدى اليه سبحانه . وأوضح ما يميز بناء السماء من البنيان فى الأرض هو تماسك اجرام السماء على البعد بالجاذبية العامة من غير تماس ، وهذا أمر عجيب يدركه الفلكيون المحدثون ولا يدرون سره اذ ليس هو بالتجاذب الكهربائى ولا المغناطيسى ، فهو جدير أن ينبه اليه فى كتاب الله بالأسلوب الذى يعقله الناس فى كل عصر ، حتى اذا جاء عصر الفلك الحديث ، واثبت هذه الظاهرة العجيبة انطبق الكلم القرآنى عليها كأنه ما نزل الا فيها .

تأمل قوله تعالى « خلق السموات بغير عمد ترونها » فى الآية العاشرة من سورة لقمان المكية وقوله عز وجل (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) فى الآية الثانية من سورة الرعد المدنية ، واعجب معى من أعجاز الاسلوب والمعنى معا فى قوله تعالى (بغير عمد ترونها) فى كل من خلق السماء ورفعها .

لو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيا مطلقا للعمد ، مرئية وغير مرئية ، والنفى المطلق يخالف الواقع الذى علم الله أن سيهدى اليه عباده بعد نحو الف وخمسين عاما من اختتام القرآن ، فكان من الاعجاز المزدوج أن يقيد الله نفى العمد فى الخلق والرفع بقوله (ترونها) . والضمير المنصوب فى ترونها يرجع أولا الى اقرب مذكور وهو (عمد) فيكون المعنى بغير عمد مرئية ، أى بعمد من شأنها وفطرتها الا ترى ، والفعل المضارع فى اللغة يشمل الحال والاستقبال أو هو حال مستمر ، لأن القرآن مخاطب به الناس فى كل عصر .

واذا أعيد الضمير الى السماء كان المعنى أن السماء ترونها مخلوقة مرفوعة بغير عمد ، وتكون العمد هى ما يعهده الناس فى ابنية الأرض . ونفيها بهذا المعنى عن السماء المرفوعة أيضا أمر عجيب لا يقدر عليه الا الله . وكلا الوجهين مفهوم من التعبير القرآنى طبق اللغة ، وان كان الأولى فى اللغة هو الوجه الأول الذى يحوى الاعجاز العلمى . واذن فالوجهان كلاهما مرادان بالتعبير الكريم اذ لا مانع من احدهما . والزمخشرى فهم المعنيين على التخيير وان أعطى الأولوية للمعنى الذى يفيده ، رد الضمير الى السماء وقال عن المعنى المستفاد من جعل (ترونها) صفة للعمد (أى بغير عمد مرئية يعنى أن عمدها لا ترى وهى إمساكها بقدرته) .

اما الفخر الرازى فلم يرض الا هذا المعنى الثانى اذ يقول (انه رفع السماء بغير عمد ترونها ، أى لها عمد فى الحقيقة الا أن تلك العمد هى قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وابقاؤه اياها فى الحيز العالى ، وانهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون بقية ذلك الامساك) .

وقد عرف علماء الفلك الحديث كيفيته عن طريق تلك السنة الكونية العجيبة المذهلة سنة الجاذبية العامة التى قامت وتقوم بها السموات والأرض بأمر الله كما قال سبحانه فى الآية (٢٥) من سورة الروم (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) وقد بقى من صور التعبير صورة ، هى أن يقال (بعمد لا ترونها) بدلا من (بغير عمد ترونها) فى الآيتين الكريمتين . وقد تجنبها القرآن الكريم

لحكمة بالغة فلو أنها جاءت فيه هكذا لاتجهت الافكار بادىء ذى بدء الى اثبات فى السماء أو للسماء كالتى يعرفونها فيمـــا يعلون من بنيـــان ، ولأثبت العلم بطلان ذلك وان جاز على أهل العصور قبله ــ وجل عز وجه الله ان يلم خطأ ما بكتابه من قريب أو من بعيد .

ثم تأتى الناحية الكميـــة لقانون الجاذبية العامة . فحتى هذه أشار اليها القرآن الكريم بين أجرام السماء .. وقد رأينا فى المقال الثانى أن الجاذبية العامة لها من الناحية الكمية ركنان : حاصل ضرب كتلتى الجسمين المتجاذبين اذ تتناسب معه طردا ، والمسافة بينهما اذ تتناسب مع مربعها عكسا . فالركن الأول يزيد فى قوة التجاذب بيـــن الجسمين ، والثانى ينقص ويضعف منها . وواضح أن أثر المسافة فى الأبعاد الفلكية أكبر وأعظم من اثـــر الكتلتين وان عظمتا ، وان ضربت احداهما فى الأخرى . تعرف ذلك معرفة أولية من صغر النجم فى رأى العين وان كان أكبر من الشمس، كالشعرى مثلا . وقـــد دل القرآن الكريم على الركنين جميعا وعلى هذا الفرق بينهما فى قوله تعالى فى الآية (٧٦) من سورة الواقعة (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، ودل على عظم السر المودع فى المقسم به فى الآية بعدها اذ يقول سبحانه (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) .

ومواقع النجوم فى معناها الأول المتبادر هى موضعها فى الفضاء ، مواضع بعضها بالنسبة لبعض . واذا تحددت المواقع تحددت المسافات . فهذا قسم بالمسافات بين بعضهـــا وبعض ، فى توزيع الله اياهـــا فى الفضاء الكونى . أما كتلها فقد دل عليها ذكر النجوم وكفى ، فان من أهم خواص النجم كتلتـــه وضوئيتـــه . وللفلكيين المحدثين طرقهم فى تقدير كل . وهم يقدرون الكتل النجمية عن طريق قانون الجاذبية أيضا . وسـواء عرفوا أم لم يعرفوا فالآية الكريمة الأولى تدل على الكتل بذكر النجوم ، وعلـــى المسافات بذكـــر المواقع ، وعلى أن المواقع أكبر وأعظم أثرا بالاقسام بها هى . أما كبر الأثـــر وعظمة السر المودع فى القسم فقد نصت عليه الآية الثانية (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) . والعظمة اذا كانت وصفا من اللـــه سبحانه كان تقديرهـــا فوق مقدور البشر . وقد نصت الآية الكريمة على أن البشر يجهلون عظمة القسم ، وبالتبع عظمة السر المودع فيه . حتى فى عصر الفلك الحديث هذا لا يدرك الفلكيون من عظمة ذلك القسم الا القليل .

ان الاجرام السماوية لا يحصيها العد ولا الحساب . هناك مثلا ملايين السدم وملايين المجرات . وفى كل سديم أو مجرة ملايين النجوم ، ان لم يكن بالفعل فى السديم فبالقوة . أى أن كتلة السديم صالحة أن يتكون منها ملايين النجوم . وكل سديم وكل مجرة .. وكل نجم فى سديم أو مجرة ، له حالته من الحركة فى فلك أو من السكون ، نتيجة لقوى الجاذبيـــة الواقعة عليه طبقا لقانون الجاذبية العامــــــة ، أى طبقا لتقدير الكتل والمسافات ، بحيث تكون نتيجة قوى الجاذبية الواقعة على الجرم السماوى .. نجما كان أو مجرة أو سديما ، ان يأخذ الجرم حالته من الحركة أو من السكون علـــى اختلاف تلك الحالات التى لا يحصيها عد . فهل فى مقدور العقل البشرى مهما بلغ من القوة ومن العلم أن يدرك عظمة ذلك التقدير ، وهو الظاهر للمتأمل من سر ذلك القسم الذى وصفه الخالق المقدر سبحانه

بأنه عظيم ؟

ان عظمة ذلك التقدير هى بعض عظمة ذلك السر ، لا كله ، وهما معا يبينان بوضوح لماذا كان خلـــق السموات والأرض اكبـــر من خلق الناس ، كما أكد الحق سبحانه فى الآية (٥٧) (٣) من سورة غافر ، على جلال آيات الله فى خلق الناس أو بالأحرى فى خلق الانسان ، اذ خلق الناس اجمعين عند الله كخلق نفس واحدة كما يقول جل جلاله فى الآية (٢٨) من ســـورة لقمان (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) .

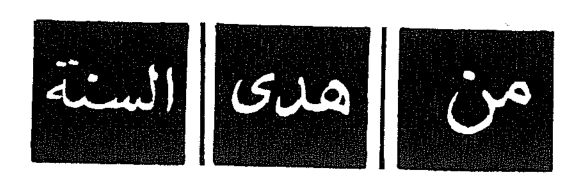
فانظر الآن الى حكمة الله سبحانه ورحمته اذ أورد فى قليل من آيات كتابه العزيز ما يدل عباده على جليل آياتـــه فى خلق السماء ، بحيث لا ينكرها أهل عصر ، وتقوم الحجة بها لله على أهل كل عصر ، حتى اذا آن أن يطلع الله من شاء من عباده على ما شاء من أسرار ذلك الخلق ، كان التطابق تاما باهرا بين الحقائق التى ظهرت من جديد ، والنص القرآنى الذى نزل به الوحى من قديم « رفع سمكها فسواها » .

(وأخرج ضحاها) : اذا عرفنا ان الضحى النور كما قـــرر الزمخشرى مستشهدا بقوله تعالى (والشمس وضحاها) عجبنا كيف غاب عنه دلالة الضمير المضاف اليه فى الآيتين . فهو فى آيـــة النازعـــات يرجع الى السماء ، وفى آية سورة الشمس يرجع الى الشمس . فكيف أمكن أن يغيب عن جميع المفسرين أن ضحى فى الآيـــة الأولى ضوء كل نجم فى السماء ومنها شمسنا ، وأن ضحى فى الآية الثانية ضوء الشمس خاصة ؟

ام كيف فاتهم الفرق بين القسم ومعناه فى الآية الثانية وبين الخبر ومعناه فى الآية الأولى ؟ حتى الشيخ محمد عبده رحمه الله يقول فى تفسيره آية النازعات (وضحاها) : نورها وضوء شمســـها ، قال تعالى (والشمس وضحاها) اى ضوئها .

ولعل الفلسفة اليونانية هى التى عمت عليهم المعنى اذ لم يكن فلاسفة اليونان يعرفون ان النجوم شموس ملتهبة لها ضوء يقول الله تعالى انه هو الذى أخرجه . واخبار الله سبحانه أنه أخرج ضوء السماء ، شمســـها ونجومها ، من أعجب وأبهـــر الآيات الخبرية فى القرآن الكريم . فهو أولا قد دل على ما لم يكشفه الا العلم الحديث من أن النجوم شموس . وهو ثانيا قد دل بالفعل (اخرج) على أن تكون الضوء فى النجم وخروجه منه لا يقدر على تحقيقه الا الله . فليس هو مثل نار الانســـــان فى الأرض وضوء مصابيحه . ليس هو نتيجـــة تفاعل كيماوى أو تيار كهربائى يقدر عليـــه الانسان ، ولكنه نتيجة تفاعلات ذرية نووية هائلة فى جوف النجم الشاب المضطرم الذى لم يفقد كثيرا من مادته طاقة ضوئيـــة وحرارية تفارقـــــه باستمرار حتى يشيـــخ فى النهايـــة ويعجز عن مثل ما كان يشع فى الشباب . فسبحان الله الذى دل بكلمة أو كلمتين من كتابه على أحدث واعجب ما كشف العلم الحديث من أن مادة الشمس والنجم تفنى بتحولها الى طاقة تشع فى الكون ، وليست بخالدة كما كان يقول فلاسفة اليونان ومن ضل بهم من فلاسفة المسلمين « للبحث بقية » .

(٣) (لخلق الســموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون .



للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

البر حسن الخلق

روى الامام مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس)) .

١ ــ البر حسن الخلق :

البر فى اللغة هو التوسع فى أعمال الخير . وفى الشرع : كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صالح الاعمال وفاضل الاخلاق ، وهى كلمة قليلة الاحرف ولكنها كبيرة الاثر ، واسعة المعنى ، تشمل كل ما من شأنه أن يوصل الى مرضاة الله عز وجل ، وقد وردت آية محكمة فى القرآن فصلت أنواع البر التى يعنيها ويدعو اليها الاسلام ، ونعت تلك الآية الكريمة على الذين زعموا أن البر هو التوجه الى جهة مخصوصة فى الصلاة ، فالتوجه فى حد ذاته ليس برا ، وانما المقصود منه هو مناجاة قيوم السموات والارض ، وهكذا أوضحت تلك الآية أن البر هو الايثار ايثار الغير بالمحبوب من المال ، والصلات صلات ذوى الارحام وغيرهم من بعدهم . قال تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

وهنا نمر مرا خفيفا بمعنى ما هدفت اليه تلك الآية ، ونخلص منه الى معنى الحديث الشريف :

تأمل معى قليلا او امعن الفكر امعانا عميقا فى أنواع البر التى وردت هنا ، ثم راقب الوجود ، الكون ، الناس ، المجتمعات ، الحكومات ، ثم طبق ما عنته الآية الشريفة على الواقع ، ارتقب النتيجة الواقعة بعد ذلك التطبيق ، ماذا تجد ؟! اذا حصل الايمان استقرت النفس واستنار الفكر واطمأن الخاطر ، وعرف

العبد أن له ربا وأن ربه لن يضيعه ما دام سالكا الطريق السوى جادا غير عابث ولا متقاعس ولا كسول ولا مقصر ، والايمان بالله يستلزم استلزاما حتميا الايمان بكل ما يصـــدر عنه لأنه سبحانه واسع عليم قادر حكيم فيجب الايمان بالبعث وبجنود الله التى لا تحصى وقد سمى بعضها ملائكة ، وأن الكتب السماوية من عند الله وأن الرسل صادقون أعطاهم الكتب لهداية البشر ولتنير لهم دجنـــة الحياة الحالكة : « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وأن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » (١٧٦ — البقرة) . ثم يتـــابع رحلة الايمان ، رحلة البر ، فيصل الى الايمان الثابت الراسخ القوى بكل ما مر ، واذا استقر فى النفس هذا وعرف تماما ننتقل منه الى ما يمـــكن أن يصدر عن المؤمن ، فالمؤمن ليس غبيا ولا غفلا ولا جاهلا ، انما له عقل يستعمله وله فكر فهو يجيل فكره فيما حوله ، يرى حينئذ أن الاقدار متفاوتة ولا يمكن أبدا بحال أن تتساوى أو تتحد كما وكيفا ، أو أن تستقر فى درجة واحدة من السمو او الانحطاط لا يمكن هذا ، يعنى لا يمكن بكل ما فى هذا التعبير من قوة ، والماضى والمستقبل والحاضر الملازم ، كل يشهد على صدق ذلك فهو حق لا مين فيه ، والذى قضى به رب العالمين الذى حكم بهذا التفاوت بين كل المخلوقات اتفقت جنسا ونوعا أو اختلفت تعال الى المقدرات بعيدا عن الانسان — تغافل عن الناس لحظة طالت أو قصرت — وجل فى كل واد تريد وتستطيع ، واخبر صادقا عن النتيجة ، أو هون عليك وخذنى رفيقا لك فى الجولان ، فلتذق الماء متفاوت المذاق ، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومر بالشجر ، هذه مثمرة يانعة الثمـــار ، وتلك جارتها ، شريكتها فى التربة والسقيا ولكن عاطل من كل ثمر ، والمثمرات جنى بعضها حلو شهى والآخر مر زعاف ، هـــذا نبت لا تفهم منه الا أنه حمل وعبء على غيره ، وذلك ورد وبنفسج له أرج وعطر وشذى ، تلك نخلة سحوق ، وهذه فسيلة ضعيفة متهافتة واذا دققت الفكر وجدت لكل فائدة . ولنمض الى الحيوان ولا أدلك على تفاوته فتلك سطحيات لا فلسفة فيها ولا عمق ، حتى ما كشف عنه العلم بفضل الله ، منه ذرة لا تكاد تدرك ، واذا تحركت أردت العالـم وأودت به وبحضارته المتعاقبة عبر القرون والى جانبها جبل شامخ وعلم رفيع لا يفعل فعلها وان كان يفاء الى ظله ويقيل العابرون فى حماه ، ماذا بعد ذلك حشرات ، هوام ، دواب ، حرث ، نسل ، سماء ، أرض ، فى كل تفاوت عجيب لا يدركه حصر ولا تصل الى جمعه معرفة ولا يعلم كنهه كما هو الا من أوجده من العدم وقال له : كن فكان !!

نعود الى الانسان فاذا هو الحاكم المسيطر وله الحق دون منازع . فالله فضله على كثير ممن خلق وسخر كل شىء لعلمه وفهمه وبحثه ولدربته واتساع مدى ادراكه . لمـــاذا ؟ ليصل الى الله الى المعرفة الحقـــة ، فهل يستطيع أن يجعل الكل مالكين أو يحيلهم جميعا محرومين لا بد من الازواج ما دامت الحياة حياة ، وما دامت للسماء الفوقية وللأرض الفراش والبساط . هل استطاع عالم الاجتماع فلان أو السياسى علان أو الفيلسوف ثالثهم أن يمنع حتى استعمال الكلمة سائل ومسئول فقر وغنى ، تحدث فى قرن مضى اجتماعى فذ فى الاجتماع وماذا فعل وماذا رسم من خطى ، لا زال المصنع له مالكه وان تغير السيد ، وله عماله وان تبدل الاســـم ، ان كنت تعرف عكسا أو نقيضا فقل لى بربك اين هو ؟ أو اخبرنى بعلمك اين يوجد ؟ ولكن دعنى دائما أدلى بحجتى وأفند لك ما زعمت جهلا انه مساواة واخطأت فلا مساواة .

اذن : أين العلاج لداء عياء ، وما دام هناك داء فليبحث له عن دواء ، واليك

الجواب بعد طول حوار :

تقول الآية الكريمة : يا محب المال ، ابق عليك مالك ، وامساكه فى انفاقه ، فنحن نريد لك الخير ونحب لك دائما ما هو الافضل نؤثر لك أن تدخر بعض المال لتنتفع به يوم لا ينفع مال مكنوز ، ادفع بعضه لتفىء الى ظل ذلك البعض يوما ما فى يوم عبوس قمطرير ، صل رحمك ذوى قرباك ، رفه عن اليتامى عديمى الحول والطول ، ولا تنس العاجز عن العمل ساعده فهو جزء من مجتمعك ، وعضو فى أمتك ، ومد يدك الى المنقطع القريب المنبت عن ماله ووطنه ، صله بما يوصله الى مستقره ، وما به يأمن طريقه لئلا يهلك فتحاسب على هلاكه حين لات مناص ، ومن سألك لا تنهره ولا تحرمه جودك فقليل خير من عدم ، وحاول تحرير من حولك حتى تصل الحرية اليك ، فالسيد فى وسط العبيد عبد حقير ، والسيادة الحقة مع السادة الحقيقيين ، وخذ لذلك مثلا ما شيئا هينا بسيطا : هذا رجل يعرف كيف يخط اسمه ولا زيادة يعيش فى قرية غامرة بعيدة عن الحضارة تلفه موضع تجلة واكبار بين قوم لا يكادون يفقهون قولا ، وتعال به الى مستوى من العلم أرفع تلفه قد تضاءل وانزى ، واذا وصل مدينة عالم أهلها بكل ما دق وجل انعكس وضعه وصار جاهلا فى عداد الاغمار ، فلما طلعت عليه شمس المعرفة ذاب وتلاشى ، أما العالم الراسخ فهو الجوال فى كل ميدان ، المقارع لكل ند وقرن لا يهاب شمسا ولا يخشى هاجرة ، فقل لى ما قيمة من يدعى السيادة مع العبيد ؟ لا شىء ! وانما القيمة والسعادة لمن يعيش سيدا مع سادة أحرار ، ولهذا دعت الآية الكريمة العظيمة الى الحرية وبذل المال لفك الرقاب .

وتقدم ذكر المال على الصلاة بيانا لنتائج الصلاة المقبولة فهذه نتائجها تتقدمها ، وعلى الزكاة المفروضة لتفيد أنها غيرها وعادت تحث على الربط الوثيق بين العباد ، ولا يكون هذا الا بالحرص على الوفاء بالعهود[1] . وتأتى بعد ذلك مرحلة الاختبار التى يمر بها كل انسان ولا علاج لهذا الاختبار الا الصبر عليها ومحاولة النجاح فيها ، فمن صبر فى البأساء [2] والضراء [3] وحين البأس [4] فهو البر البار فاعل البر وهو الصادق المتقى لله حقا .

رأيت مما سبق أن (البر) هو جماع الخير كله ، فانظر بعد هذا فى حديث رسول الله الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام حين يقول (البر حسن الخلق) وهل يصدر ما صرحت به الآية الا عن حسن الخلق ، فالخلق الكريم فى عرف علمائه : (رياضة محمودة تصدر عنها الافعال الحسنة فى رفق ويسر) وهذا هو الخلق الحسن وهذا هو البر المطلوب . كن مستقيما ، محبا للغير ، عفيفا ، مبتعدا عن السفاسف ، انس نفسك يا أخى فى سبيل غيرك تحيا نفسك وتعظم وتسعد ويسعد معك غيرك ، اخلص فى عملك لأنه عملك ولاك الله اياه ، لا تنتظر المكافأة فتهلك ان قلت ، وتبطر ان زادت . اذا فعلت حققت الحديث الشريف : (البر حسن الخلق) .

---

(١) وفى هذا الحديث قد يطول وان كان فى الاجل بقية فساعود اليه بعون الله وحده .

(٢) الشدة والضيق .

(٣) فقد الاهل والولد .

(٤) فى ميدان القتال ولقاء الاقران فى النزال والطعان لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

٢ ــ والاثم ما حاك فى النفس :

من الممكن ان يقــال ان الاثم ضــد للبر أو هو نتيجــة لترك البــر ، وعلى أى فالاثم ذنب وبعد عن الصواب المرجى من الانسان كأنسان ، وقد يتكرر الذنب حتى يرسخ فى النفس ويصبح عادة ويتعــارف عليه النــاس ويواقعونه ، وهذا هو الشر كل الشر ، والعصيان وانتهاك حدود الله والتطاول على شرعه واطراح العمل به ، وقد يصل الاثم بصاحبه الى الكفر حين يتخطى **حدود ادراكه ويستهين بما أنزل الله على رســله ويعد الدعوة الى احكام الله** عودة الى الوراء ، وتأخر عن ركب الحضارة المتعاونة ، ولا يستحى أن يقول **انظروا أمما تقدمت ماديا وليست ذات دين ! والى هؤلاء يساق الحديث أى تقدم** وأية حضارة ، وأى ازدهار لتلك الحضارة ، وأية مدنية واختراع !! ماهى النتيجة للانسان كأنسان يجب أن يعيش حرا له حق فى الهواء والماء والكلمة أعتقد وأستطيع الدفاع عن ما أعتقد ــ أن قائل هذا فج الرأس ضعيف الادراك سطحى المعرفة لشيء باد للعيان ظاهر لكل انسان ــ ولكن للأسف أين هذا الانسان (٥) ولأوفر عليك مشقة البحث وعناء التنقيب واخبرك ولا ينبئك مثل خبير : هل تعرف كيف يعيش عمال المناجم ؟ هل تدرى كم يتقاضون ؟ هل احصيت عدد العاطلين عن العمل ؟ هل تدرى كيف تعامل تلك الشعوب التى تعنيها ؟ أظن لا ! **واضع (الظن) هنا فى موضــعه المنطقى حيث وضعوه فى** منزلة خاصة مع **رفقائه : اشك واعتقد وأتوهم . . الخ(٦)** .

قف معى قليلا أمام قوله صلى الله عليه وسلم : (ما حاك فى النفس) هذه العبــارة الشريفة تقدر الانسان قدره وتضعه فى موضعه ، فى درجتــه من الأنسانية ، فى مكانه من الوجود ، فى وظيفته التى يجب أن تكون له وأن يكون لها ، فهو عظيم بين المخلوقات مسيطر فى حدود أمكانياته وليس بمتجبر **كما يحب أن يكون ــ يتمتع بلذائذ الحيــاة وطيباتها فى حدود ، ولا ينزل الى سفسافها ودنيئها ، فهو على أى انسان تام التعريف ينطبق عليه القول الشارح الذى وضعه له المناطقة ولهذا كانت له نفس تتألم وتشعر** ، وتخاف وتخشى ، تقدر الأمور وتزن الوقائع ، لا تنزل الى درجة الجمــاد ولا أقول الحيوان فالحيوان الأعجم له كل الأحساسيس وان اختلف المقصود منها والداعى اليها، فالأعجم يحن ويئن ، ويعطف ويهش ، ويغضب ويفرح ، ويحزن ، وانظر الى قطتك التى تعايشــك الى كلبك الذى يتبعك ، متى يهز ذيله ومتى يكشر عن أنيابه ومتى تموء مواء المستعطف ، ومتى تبرز مخالبها ؟

عواطف وشعور يبدو ويلوح ، أنت قد تفصح بالكلام وهى تعبر بالحركة كالأبكم منك سواء بسواء ، فالجملة الشريفة (ما حاك فى النفس) تعبر عن النفس الخيرة لم تمتها المعاصى ولم ترتد جمادا لا يحس . وهل من الممكن أن

---

(٥) أظن أنه الذى كان يبحث عنه ديوجين فى وضح النهار بمصباحه المضاء دائما !!
(٦) ولهذا الاجمال تفصيل فى حين مقدر .

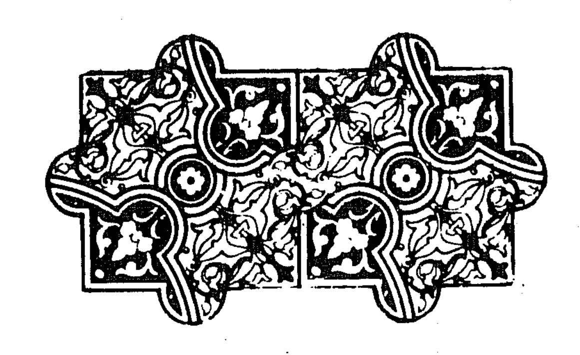
ترتد النفس الواعية جمادا ، سؤال تورده طفولة تفكير ويوحى به عدم تبصر . والجواب جد يسير : **تعال الى البلد الذى فتنتك بروقه الخلابة تجد الجواب** ، تجد نفوسا انقلبت لديها الحقائق تحت تأثير مذاهب وفلسفات ما لها سند من عقل مفكر ولا من انسانية عفة كريمة ، صارت تلك النفوس صما صلادا لا تحس ، ولا تدرك .. هذه النفوس لا تشعر فليست نفسا كاملة سليمة الفطرة ، فاذا ، **لا يحوك الاثم الا فى النفوس القريبة من الخير ، ان زالت فستعود أوابة نادمة .**

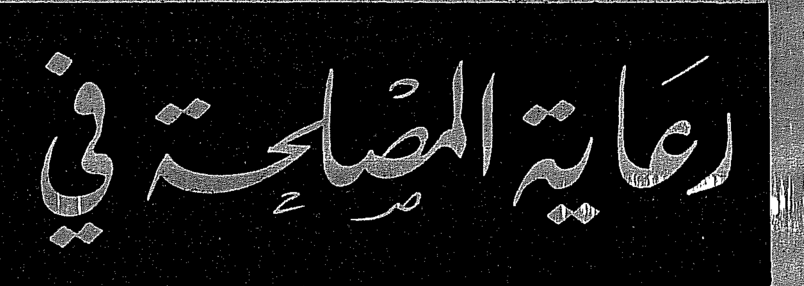
٣ ـ وكرهت أن يطلع عليه الناس :

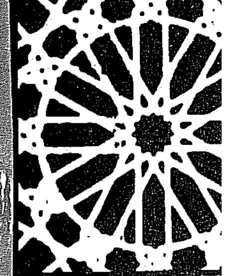
قال علماؤنا الأسبقون رحمهم الله رحمة واسعة معنى هذا : (.. العمل الذى تستحى منه ولا تحب أن يراه الناس منك ، وذلك أن النفس لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما يذم الاقدام عليه) وضربوا لذلك مثلا بالسرقة والفحشاء .

قال صاحبى : هذا القول ميزان ومقياس ، السوى ما وافقه ، والانحراف فى الانحراف عنه ، فالنفس التى يحوك فيها الاثم والتى تكره أن يطلع عليها الناس متلبسة برذيلة هى النفس المتصفة بسلامة الفطرة مع قوة يقين باحترام المجتمع الذى تعيش فيه وتلك خلة محمودة لا يخلو منها زمان ولا مكان ، لأن **المعايير الانسانية الاصيلة لا تختلف ، فأصول الرذائل معروفة ومتفق عليها أو الأجماع قريب من الاتفاق** ، لأن نعم ولا لم يتفق عليها فى كل المواطن أبدا **وهذا لن يكون ، أما لجهل أو تعصب** والرسول صلى الله عليه وسلم يقصد النفوس التى تحمل أصول الخير ولم يطغ عليها عامل الشر فنعم الحديث ونعم ما جاء به ، ولا أجد ختاما لهذا القول أفضل من حديث مشابه فى الموضوع فكلام سيد الخلق سيد الكلام عن وابصة معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم قال استفت قلبك. البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر) رواه الامام أحمد والدارمى واسناده جيد .

نسأل الله جلت قدرته أن يوفقنا لعمل البر وأن يمن علينا بحسن الخلق وأن يدخلنا برحمته فى عباده المخلصين الصالحين .



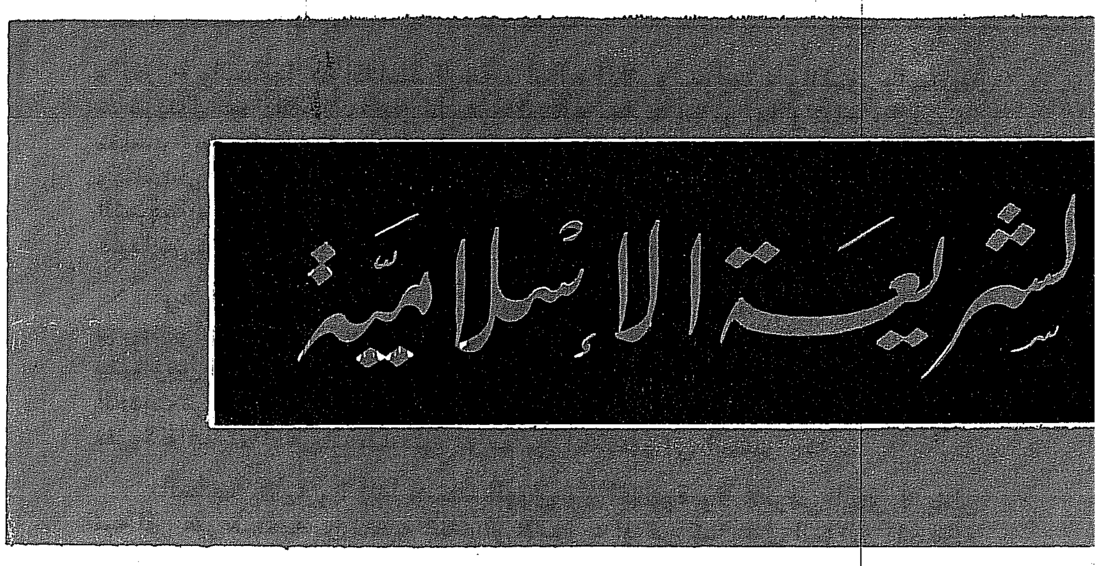




لا تتجلى النزعة الفطرية لدى الانسان فى شىء تجليها فى نزوعه فى جميع تصرفاته وأعماله الى تحصيل ما يرى أنه منفعـــة له ، بغض النظر عن أن تكون منفعة شخصية خاصة أو منفعة عامة ، ولذا لم تصدر شريعة من شارع ، ولا أمر من آمر ، ولا حكم من حاكم ، ولا ارشاد من مرشد ، الا لمصلحة قصد اليها ، ورأى أن السبيل اليها هو ما شرعه،أوأمربه ، أو أرشد اليه ، تلك هى الفطرة وما يقضى به العقل ، وما يشهد به الواقع . وماخالف ذلك عمل جنونى ، أو تصرف حيوانى لا يعبر عن ارادة ، ولا يصدر عن اختيار .

واذ كان الاسلام دين الفطرة فقد كانت المنفعة فى أكمل مظاهرها ، وأوسع نطاقها ، مجالا وهدفا لما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من شرائع وأحكام ، وأساسا لما هدى اليه من فضائل وأخلاق ، وانه ليرى مع ذلك أن المنافع والمصالح مختلفة ومتعددة ، وأن الأغراض والأهداف متفاوتة ومتعارضة ، وأن منها ما هو خير وصالح فى حقيقته وواقعه ، ومنها ما هو شر وسىء وخبيث فى حقيقتـــه وواقعه ، وان رآه مبتغيه وطالبه على خلاف ذلك ، وأن للوسائل أحكام غاياتها ، فهى طيبة ما أدت الى خير ، وخبيثة ما أدت الى شر ، وأن كل عامل أو شارع أو حاكم انما يبغى بتصرفه ما يراه فى نفسه خيرا لنفسه ، وما يزعم أنه الخير ، وان كان فى واقعه أو عند غيره على خلاف ذلك ، **واذن فما المصلحة وما الخير الذى يجب أن يطلب ولأجله يشرع ويؤمر ويحكم ؟**

لقد كان ذلك مثار جدل وخلاف شديدين منذ القدم بين الفلاسفة وبين علماء الأخلاق ، المتقدمين منهم والمتأخرين . فمنهم من كان يرى أنها اللذة الشخصية ، ومنهم من كان يرى أنها ما يقضى به العرف ، ومنهم من كان يرى أنها أكبر لذة



للشيخ : علي الخفيف

رئيس واستاذ قسم الشريعة بجامعة القاهرة سابقا وعضو مجمع البحوث بالازهر

لأكثر عدد من الناس ، ومنهم من يرى انها ما يرغب فيه عادة ، ولسنا نريد الآن أن نخوض فيما خاضوا فيه من الخلاف والجدل ، وانما نريد بيان المصلحة التى كان لها فى الشريعة الاسلامية مكان الرعاية والاعتبار ، فكانت هدفها فى احكامها ، وغرضها من أوامرها ، ثم كانت لذلك فى رأى بعض الفقهاء سبيلا الى تعرف حكم الله ، فيما لم يرد فيه حكم ، حتى قالوا فى ذلك : **حيث تكون المصلحة فثم حكم الله تعالى .**

ان ما يدل عليه اسم المصلحة من الوضوح بحيث لا يرى انه فى حاجة الى التعريف والبيان ، ولكن الذى دعا الى محاولة التعريف بها مرونة معناها ، وشموله لصور عديدة ، وضروب من المصالح مختلفة ، منها الخاص ، ومنها العام ، ومنها المشوب بالضرر ، ومنها غير المشوب به .

ولذا يرى الغزالى فيها : انها ما يؤدى الى المحافظة على مقصود الشارع من شريعته ــ ومقصود الشارع من شريعته أن يحفظ عليهم خمسة أمور : أن يحفظ عليهم دينهم ، وأنفسهم ، وعقولهم ، ونسلهم ، وأموالهم . فما يؤدى الى ذلك مصلحة ، وما يفوت هذه الأمور مفسدة ودفعه مصلحة .

وقد حاول عز الدين بن عبد السلام التعريف بها بواسطة وضع ضابط لها اذ يقول : من أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد : راجحها ومرجوحها ، فليعرض ذلك على عقله ، بتقدير ان الشارع لم يرد به ، ثم ليبن عليه الأحكام ــ فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك ، الا ما تعبد الله به عباده ولم يقفهم على مصلحته او مفسدته ــ ثم يقول بعد ذلك **والمصالح اربعة انواع :** اللذات واسبابها ،

والافراح وأسبابها ، والمفاسد أربعة : أنواع الآلام وأسبابها ، والغموم وأسبابها — ثم يقول بعد ذلك وقد تكون أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح ، لا لكونها مفاسد ، بل لكونها مؤدية الى مصالح ، كقطع الأعضاء المتآكلة حفظا للأرواح ، وكالمخاطرة بالأرواح فى الجهاد ، حفظا للدين والنفوس والأموال . وكالعقوبات الشرعية من حدود وتعزيرات : فكل هذه مفاسد أوجبها الشارع لتحصيل ما رتب عليها من مصالح .

وعلى أية حال كان عليه بيان الفقهاء وتعريفهم المصلحة ، فانه يلاحظ أنهم لم يختلفوا فى التعرف على المصلحة والحكم بوجودها ، حيث كانت ، ولم يخلطوا بينها وبين المفسدة قط ، وان كان فى هذا القدر كفاية لبيانها ، حتى لا يطول بنا الحديث فى ذلك ، غير أن ذلك لا يغنينا عن بيان بعض خصائصها الهامة فيما يلى ، ففى ذكرها يتم التعريف بها على الرغم من اختلافهم فى التعبير عنه .

الخاصة الأولى : انها ليست الهوى ولا الشهوة ولا الغرض الذى لا ينظر فيه الى غير صاحبه من ناحية النفع أو الضرر ، اذ هى كما يقول الغزالى المحافظة على مقصود الشارع . وذلك لا يتحقق الا حيث تكون نفعا خالصا أو نفعا هو أكبر ما قد يكون فيها ضرر .

الخاصة الثانية : انها تتمثل فى جلب المصلحة ، كما تتمثل وتتحقق فى دفع المفسدة ، اذ ان كلاهما مقصود للشارع فى شرع احكامه ، **وذلك ما يجب أن يراعى فيه مع الحياة الحاضرة ، الحياة المستقبلة ، وهى حياة الآخرة** ، فان الاطمئنان الى الظفر به فيها ، له لذته ومنفعته فى الحياة الأولى الحاضرة . وعلى هذا كانت اللذة أو المنفعة الدنيوية وحدها غير صالحة لأن تكون معيارا للمصلحة ، ولا سبيلا الى تقويمها ، فقد تكون المصلحة فى مظهرها الما دنيويا يتعارض مع ما خلق فى الانسان من شهوة جامحة ، وأنانية غير مهذبة ، يلبسان عليه الحق بالباطل ، فى حين أنها تؤدى مع ألمها الى جلب منفعة او لذة عظيمة آجلة ، أو دفع ضرر أو ألم أشد ايذاء ، ومن ثم كانت هذه مصلحة مراعاة من الشارع وفى حين أنها مع ذلك تورث فى الحال ارتياحا نفسيا روحيا وعن هذا كان اعتبار الشريعة لها — وذلك ما يدعو الانسان الى الا يكون حكمه على الأعمال مبنيا على ظواهرها وآثارها العاجلة أو الدنيوية ، بل يقتضيه أن يكون حكمه عليها — أولا — نتيجة وثمرة للنظر فى النصوص الشرعية .

ولهذا كان للمصلحة التى يرعاها الشارع أثرها الدائم فى ايجاد لذة روحية باطنية ، وان صاحبتها آلام جسمية ، وهى لذة لها مستواها الرفيع عند من يقدرها ، ويقدر نتائجها من ارتياح ، أساسه الشعور بالطاعة ، وتجنب العصيان ، وذلك ضرب من السمو الروحى الذى يطلب ويرغب فيه ، وهذا الى ما هو مرتقب ومنتظر من كريم الجزاء فى الآخرة — ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يربط بين الحياتين بوشيجة متينة وهى رابطة السبب بمسببه ، فأمر عباده باتخاذ حياتهم **الدنيا وسيلة لسعادتهم فى حياتهم الآخرة . يدل على ذلك قوله تعالى :**
(حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) . وقوله :
(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) .

وهذا ما يجعل كثيرا من الأعمال محلا لطلب الشارع وايجابه ، على الرغم من آلامها وارهاقها فى الحياة الحاضرة ، مما لا يبين معه وجه المصلحة التى اقتضت طلبها من الشارع ، وليست الا مالها عند الله من عظيم الأجر وكريم الجزاء فى الحياة المستقبلة ، واسهاما فى البر والنفع العام المؤديين الى صلاح المجتمع ولو بطريق غير مباشر .

الخاصة الثالثة : انها دائما متصلة من قريب أو من بعيد بالمحافظة على ما قصد الشارع المحافظة عليه بشرعه ، وهو الدين والنفس والعقل والنسل والمال . وليس بين العلماء خلاف فى أن كل ما تضمن حفظ هذه الأمور كان مصلحة واجبة الرعاية ، وان رعاية حفظ هذه الأمور هى على هذا الترتيب فى الجملة : **فالحفاظ على الدين** فى أصله مقدم على الحفاظ على النفس ، ومن ثم وجب الجهاد ، مع ما فيه من تعريض النفوس للقتل . **والحفاظ على النفس** مقدم على الحفاظ على العقل .. ومن ثم حل شرب الخمر دفعا للظمأ المهلك ، وعند الاكراه عليه ، وهكذا مما فرعه العلماء من الأحكام بناء على ذلك — وقد كان الحفاظ على هذه الأمور الخمسة من المصالح الضرورية التى كان لها من الشارع اتم رعاية فى شرعه الاحكام .

الخاصة الرابعة : ان تكون مما يتناوله مقصود الشارع فى احكامه ، وتسير فى طريقه ، وتظلها رايته ، ولا تتضارب معه ولا تخرج عليه ، وذلك بالنسبة لما دلت عليه الأدلة القطعية أو اقتضته قواعد الشريعة الكلية واصولها العامة الأساسية فان خرجت عن هذا النطاق ، فعارضت دليلا قطعيا من كتاب أو سنة أو اجماع لم تكن مصلحة ، ولم يكن لها من الشارع رعاية ، فلن تكون المعاملة بالربا فى يوم من الأيام مصلحة ، مع قيام قوله تعالى : (واحل الله البيع وحرم الربا) ، ولن يكون شرب الخمر ولعب الميسر مصلحة مع قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ، **وهكذا يجب أن تتخذ الشريعة ما دامت قائمة ، دليلا على المصلحة ، وطريقا الى التعرف عليها لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالمنكر ولا بالفحشاء ، وانما ذلك** من عمل الشيطان : يقول الله تعالى في سورة البقرة : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » وفى سورة النور : « ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » ويقول تعالى فى سورة الأعراف : « قل ان الله لا يأمر بالفحشاء » وفى سورة النحل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » واذا كان الله سبحانه وتعالى لا يأمر بضر ولا منكر ، وان جميع ما يأمر به خير ، كانت المصلحة والخير فيما شرعه ، ما دام شرعا ، وكان الشر والمفسدة فيما نهى عنه .

ونتيجة ذلك أن للشريعة الاسلامية قواعدها الكلية واصولها الأساسية ونصوصها القطعية ، وان جميع ذلك يهدف الى تحقيق الخير والمصلحة على ما سنبين ، وان ليس من ذلك أصل ولا أمر يدعو الى مفسدة أو يؤدى اليها . ومن ثم كان أمر الدين وهديه دليل المصلحة ،وطريقه اليها ، وذلك ما دام دينا وشريعة **لم ينقض وقت العمل بهما بتوقيت ، أو بناسخ ، ولم تكن المصلحة لذلك دليلا على** الشرع أو مؤدية اليه فيما فيه نص عن الشارع .

ومثال ذلك ان ما خالف الدين أو خرج عليــه لا يرعاه الشـارع ، ولا يعد مصلحة ، وان ظن ظان انه مصلحة ، لما يرى فيه من لذة وقتيـة أو نفع خاص عارض ، وانه لا يجوز الحكم على امربأنه مصلحة ، اذا كان مخالفا لنص قطعى او أصل من اصول الدين .

أما ما خالف امرا اجتهاديا كان هو محل اجتهاد فى الشريعة فلا تكون مخالفته دليلا قاطعا على تجافيه للدين وبعده عن المصلحة كما سيأتى بيان ذلك . وذلك أمر يعلو عن أن يكون محلا للريب والشكوك ممن يؤمن بالله وحكمته فى شريعته ؛ وعلمه بخائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وبما كان وما يكون .

العقل ليس مقياسا دائما :

وذلك ما يخالف فيه أصحاب الأهواء ، اذ يقولون يجب أن يكون سير الدين على وفق المصلحة ، فالدين باعتباره متواعدا بعقاب وواعدا بثواب ، يجب أن يكون عقابه موجها ضد الأعمال المقررة بالهيأة الاجتماعية فقط ، وأن يكون ثوابه موقوفا على الأعمال التى تنفعها فقط ، وهذه هى القاعدة الأولية والطريقـة الوحيدة فى الحكم على سير الدين ، وهو النظر اليه من جهة الخير السياسى فى الأمة فقط ، وما عدا ذلك لا يلتفت اليه ، وهم فى ذلك يريدون أن يكون الدين على وفق ما يراه المجتمع خيرا له ، بريئا مما يراه المجتمع شرا له كيفما كان وضع ذلك وصورته فى واقع الأمر ومآله . .

وفى هذا يقول الشاطبى رحمه الله فى موافقاته : لو جاز للعقل تخطى ماخذ النقل لجاز ابطال الشريعة بالعقل ، وهذا باطل ، فان معنى الشريعة انها حدود حددها الشارع ، تحد للمكلفين حدودا فى أفعالهم وأقوالهم واعتقاداتهم ، وهو جملة ما تضمنته . فان جاز للعقل أن يتجاوز حدا واحدا من هذه الحدود ، جاز له تجاوزها جميعا ، لأن ما يثبت للشىء يثبت لمثله . وتعدى حد واحد هو فى معنى ابطاله ، وأنه ليس بصحيح ، واذا جاز ابطال واحد جاز ابطال سائرهـا وهذا لا يقول به مؤمن . .

هذا وليس معنى ما قدمناه من بيان ان صلاح الأفعال وفسادها ، ونفعها وضررها ، اثر وثمرة لاحكام الشارع عليها من طلب وحظر ، وان ليس لها فى ذاتها منفعة للناس ولا مضرة لهم ، بل المعنى أن طلب الله للأفعال وشرعها ؛ وحظـره اياها ، هو على وفق ما قدره وعلمه فيهـا من نفع وضرر ، وان طلبه اياها جل شأنه وعلت حكمته لا يتوجه الى ضار خبيث رحمة بعباده ، وقد كتب على نفسه الرحمة ، وان حظره للفعل انما يتوجه للضار لا للنافع ، ومن ثم كان طلب الفعل ونفعه أمرين متلازمين ، وكان حظره وضرره أمرين متلازمين ؛ وكان كل من الأمرين علامة على ثبوت الآخر منهما ؛ فطلب الشارع لفعل علامة على صلاحه ونفعه ، ومصلحته الثابتة بالدليل القطعى علامة على شرعه . وتحريم فعل علامة على ضرره ، وضرره الثابت بطريق قطعى علامة على حظره ، اذ لا يشرع الله ضرا ولا شرا ذلك هو بيان الأمر وتفصيله والقول الذى يجب أن يكون فصلا فيه .

الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الى العرب بما شرعه الله وأوصى به اليه من احكام لم يأتهم بشريعة جديدة مستحدثة تمحو كل ما كانوا عليه من معتقدات ، وما كانت تقوم عليه معاملاتهم من قواعد ونظم ، وما كانوا يرتبطون به من عهود ومواثيق . فقد كانت لهم مناسك يقدسونها وكانوا يتبايعون ويتاجرون ويتزوجون ويستأجرون، وكان لمجتمعهم نظمه وعاداته وتقاليده فلم يحرم جميع ما كان لهم من ذلك ، وانما عمد صلى الله عليه وسلم الى ما فيه صلاحهم منه فأقره ولم يغيره ، والى ما فيه ضررهم وفساد مجتمعهم فمنعه وحرمه ، والى ما رآه من ذلك ناقصا فكمله ، والى ما وجده مشوبا بالضرر فخلصه ، وهكذا كانت شريعته التى جاء بها اليهم صلى الله عليه وسلم شريعة اريد بها الاصلاح لا المحو والازالة .

فمثلا حرم انواعا من البيوع ، لما فيها من غرر يؤدى الى النزاع والضرر . وحرم انواعا من الزيجات لأنها الى السفاح وقطيعة الرحم أقرب ، وحرم الربا لأنه يؤدى الى البوار ومضيعة الأموال ، وحرم شرب الخمر لأنه يزيل العقل ، وحرم كل ما يؤدى من المعاملات الى ضرر وفحش واكل المال بالباطل ، وابقى السليم الصحيح منها ، الموفى بالغرض ، المحقق للمصلحة ، حتى انه ليرى أن الأمر فى العبادة لم يختلف عن هذا ، فأقر عبادة الله ، وحرم الشرك وعبادة الأوثان ، وابقى على الحج وهذبه وكمله ، فلم يبطل الوقوف بعرفة ، ولا رمى الجمار ، ولا الطواف حول البيت ، ولا السعى بين الصفا والمروة ، لما رآه فى هذه الأعمال من قدسيه واتجاه روحى ومنفعة اجتماعية ، لا يتسع الوقت لبيانها وتفصيل القول فيها وعلى الجملة فقد كانت المصلحة رائدة فى اقرار ما اقره ، وفى تحريم ما حرمه . وفى تهذيب ما هذبه ، وفى تكميل ما كمله كما كانت هدفه فى شرع ما شرعه .

ذلك هو بيان الأمر والقول الفصل فيه ، كما قلنا ، وانما محل النظر هو ما قد يعتور حكم العقل ، ويعرض للنظر من تردد وشك أن يكون الحكم فيه الحظر فيكون شرا ، أم الطلب فيكون خيرا ، وما قد يتردد فيه من الأفعال التى لم ينصح ولم يتبين حكمها : اهى مصلحة خالصة ، ام نفعها اكبر من ضررها . فيكون حكم الله فيها الطلب ، أم مفسدة فيكون حكم الله فيها الحظر ، وذلك ما قد يكون محلا لاختلاف الأنظار تبعا لاختلاف طرائقها ، وما يؤسس عليه ، والمصيب فيها مجتهد له اجران والمخطىء فيها مجتهد له اجر كما قرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا يتضح المراد بقولنا ان المصلحة يجب أن تكون تابعة للدين ، سائرة فى فلكه لا تخالفه ، ولا تخرج عليه ، كما يتضح أنه لا يصح جعل الخبرات الفردية أو العادية ولا الموازين العرفية او التجريبية معيارا للمصلحة المرعية شرعا ولا طريقا الى تعرفها دون أن يكون ذلك مصحوبا وقائما على النظر فى اصول الشريعة الأساسية وقواعدها الكلية ونصوصها القطعية فان من الأعراف اعرافا فاسدة لا تصلح ميزانا ، ولا معيارا ، ولا سبيلا الى معرفة سليمة ، ومن الخبرات خبرات يشوبها الهوى ، وتضلها الشهوة ، وينقصها الاستقراء التام ، ومن التجارب ما لا تدوم سلامته وصحته ولا تسلم نتائجه لنقص يلم بها عند النظر ، أو لظرف خاص مؤقت لا دوام له .

وعلى ذلك اذا قيل ان الربا كان ضررا فيما مضى ، وقد أصبح الآن مصلحة وخيرا ، وان لحم الخنزير لا وجه لتحريمه الآن بعد أن أصبح غير ضار بما يتخذ في تربيته من وسائل ، وان الخمر في كثير من أحوالها لا يترتب عليها سكر ، وعند ذلك يسلم نفعها فلا محل لحظرها عندئذ ، اذا قيل هذا وأمثاله فلا يصح أن يكون له وزن ، ووجب اهماله .

وليس معنى ذلك ان الشارع في هذه الحال قد أهمل مصلحة دلت عليها علومهم وتجاربهم بل المعنى فيه أن تقدير المصلحة في هذه الأحوال وأمثالها لا بد ان يكون قد اتصل به نوع من الخلل والفساد ، فان احكام الناس لا تخلو في غالب الأحيان عن شائبة الهوى والشهوات والأغراض ، ومن الأدلة على ذلك خلافهم بعضهم مع بعض ، واتهام بعضهم بعضا في صدد هذه الأحكام ، أما احكام الشريعة فهي للحكيم العليم .

وانما يكون للتجارب وزنها ، وللخبرات حكمها ، حيث لا تجد في الشريعة ما يعارضها سلبا أو ايجابا فعندئذ تصير صالحة لتأسيس الأحكام عليها ، واعتبارها حكما شرعيا ، قام عليه دليل من الشارع هو المصلحة الظاهرة التي استوجبته ، وهو لا يعدو أن يكون دليلا ظنيا يورث ظنا راجحا . ولعل فيما ذكرناه بيانا كافيا للتعرف على المصلحة التي كان لها مكان الرعاية في الشريعة الاسلامية وكان لكل من القرآن والسنة والاجماع والقياس بأنواعه طريقته في هذه الرعاية .

فاما القرآن فانه يلاحظ ان نصوصه ترعى هذه المصلحة من عدة وجوه .

١ ــ أنها لا تتعرض للتفريع اكتفاء بما تقرره من مبادىء وأصول عامة ، سواء في الأحكام المدنية والدستورية والجنائية والاقتصادية .

٢ ــ ان كثيرا من نصوصه قد قرن الحكم بحكمته : صراحة أو اشارة ، مثل آية الخمر . ومثل آية المحيض ، ومثل خذ من أموالهم صدقة الآية . وهذا من القرآن ارشاد الى أن رعاية المصالح هي غاية هذه الأحكام وهدفها ، وانها مبدأ وأصل في الشرع .

٣ ــ ان من بين هذه النصوص ما يقرر مبادىء عامة كالآية التي تقرر الاباحة في الانتفاع بجميع الأشياء « خلق لكم ما في الأرض جميعا » وكالآيات التي جعلت أساس التشريع رفع الحرج والتيسير على الناس مثل قوله تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » ــ المائدة ــ « وما جعل عليكم في الدين من حرج » . ــ الحج ــ « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ــ البقرة ــ « يريد الله أن يخفف عنكم » ــ النساء ــ « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » . ــ البقرة ــ ومثل الآيات التي أوجبت الوفاء بالحقوق مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) ــ « وأوفوا بالعهد » ــ « وليوفوا نذورهم » ــ « ان الله يأمركم **أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » الى آخر الآية . . ومثل ما دل على الوفاء بالوعد ــ « يأيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون »** . ومثل هذا كثير في القرآن .

أما السنة : ففي نصوصها أيضا مرونة اذ ان الأحكام التي وردت بها ثلاثة أنواع : **نوع مقرر** ومؤكد لما جاء به القرآن فلا يختلف عنه . **ونوع مبين** له فهو عام

عمومه ، وخاص خصوصه ، ودائم دوامه ، وقائم على ما قام عليه القرآن . **ونوع منشىء** وهو ما سكت عنه القرآن . وحكمه حكم المبين ، من حيث وجوب العمل به واتباعه ما دامت البيئة هى البيئة ، والظروف هى الظروف وذلك اذا صدر على سبيل القضاء والفتيا فى حادثة معينة ، أما ما صدر تشريعا عاما ، ولو فى حادثة معينة ، بأن اقترن فيها القضاء أو الفتيا بما يدل على عموم النص ، فان له الدوام ، ولا يتغير بتغير الزمن والأمم . ولسنا نغفل ما تضمنته السنة من مبادىء عامة تشريعية : مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المسلمون عند شروطهم الا شرطا .. الحديث . ومثل قوله : يسروا ولا تعسروا . ومثل قوله : ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه . ومثل قوله صلى الله عليه وسلم . **« لا ضرر ولا ضرار » وهو أساس العمل بالمصالح اذ فى ترك المصلحة ضرر أو** ضرار . وقد حرم الشارع ذلك بهذا الحديث .

وأما الاجماع فهو مصدر عظيم تستطيع الأمة أن تواجه به كل ما يقع لها من حوادث ، وأن تساير به الزمن ، وتكفل لمختلف البيئات مصالحها المختلفة ، اذ لا يكون الا عن تدارس وتشاور ونظر فيما يصلح عليه الأمر ، وتتحقق به المصالح .. ولا شك أن ذلك يقوم على رعاية المصلحة .

وأما القياس : فليس يخرج عن هذا لأنه قائم على العلة التى ناط الشارع الحكم بها ، وهى دائما مصلحة متصلة بالمصلحة ، وله ارتباط بالحكمة وهى المصلحة التى تطلب من الحكم . وهكذا نرى أن المصلحة كانت فى محل الرعاية من الشريعة الاسلامية فى جميع مجالاتها ، وانها تكمن وراء كل دليل من أدلتها ، وان الشارع قد استهدفها من احكامه وجعل احكامه طريقا اليها ، وعلى هذا أيضا دل الاستقراء التام لأحكامها .

فهل مع هذا نستطيع أن نقول ان هذا الوضع يعنى صلاحية المصلحة للاستقلال ببناء الاحكام عليها وحدها . ذلك ما نريد بيانه .

المصلحة أساس لكل حكم :

من البديهى أنه لا محل لهذا النظر فى عهد الرسول ، فقد كان مرجعهم فى **جميع الأحكام ، وكان كل ما أقره سنة وشريعة متبعة ، وكذلك لا مجال له حيث** يجمع المسلمون على أمر لأن اجماعهم دليل فى ذاته وهو واجب الطاعة والاتباع ، ولا مجال لهذا النظر أيضا حيث يكون القياس ، لأن القياس كذلك دليل شرعى ، أساسه الاجماع أو النص .

واذن فمجال النظر ما جد غير هذا من الأحداث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل فى مثل هذه الأحداث والوقائع نستطيع ان نعرف حكمها عن طريق النظر الى ما فيها من مصلحة أو مفسدة ؟

ان خير ما يسترشد به فى هذا الموضوع هو موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد وفاته .

لقد رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت بهم من النوازل وحدثت لهم من الحوادث ما لم ينزل فيه كتاب ، ولم تمض فيه سنة ،

ولم يسبق له مثيل رأيناهم يلجئون الى ما يرون فيها من مصــــلحة أو مفسدة يستظهرون بها حكم الله فيها . فحين دعت الحاجة الى جمع القــرآن ، وهو أمر لم يكن من قبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزع عمر الى أبى بكر ، فعرض الأمر عليه ، وطلب اليه أن يأمر بجمعه ، لأنه خير ، ولمــا تردد أبو بكر فى ذلك ، لم يكن لعمر طريق يزيل به تردده الا اقناعه بأنه خير ، وحين اقتنع واطمأن الى جمعه ، لأنه خير ، اســتدعى زيد بن ثابت ، وعرض عليه اقتراح عمر ، فتردد فى الأمر ايضا ، وما زال به أبو بكر حتى اقتنع بأنه خير ، وبناء على أنه خير كان جمع القرآن واجبا ، وتم بناء على ذلك جمعه .

وكذلك الحكم فيما قام به عثمان رضى الله عنه من جمع الناس على قراءة واحدة ، حين اشتد الخلاف بين القراء حتى وصل الأمر الى تكفير بعضـــهم بعضا ، وخيف اختلاف المسلمين فيه اختلاف اليهود والنصارى .

وكذلك لم يكن لشرب الخمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة محددة المقدار . وحين دعت الحاجة الى تحديدها قصـــدا الى جعلها زاجرة رادعة جعلوه ابتداء فى عهـــد أبى بكر (٤٠) جلدة ، وحين رئى تتابع الناس وتهافتهم عليه زيد الى ثمانين فى عهد عثمان ، بعد أن استشار أصحاب رسول الله ، فقال على رضى الله عنه من ســكر هذى ، ومن هذى افترى ، فأرى عليه حد المفترى .

وعلى هذا الاساس — اساس المصلحة — عهد أبو بكر بالخــلافة الى عمر ، وعمر جعلها شورى بين من عينهم من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تصرف كل من الخليفتين بما استوجبته رعاية المصلحة . وذلك فى أمر من أخطر أمور المسلمين ، بل لعله أخطرها جميعا . ولم يرجع أحدهما فى عملــه الى قياس أو اجماع ، والحوادث فى ذلك كثيرة يضـــيق الوقت عن الارشاد اليها .

وعلى هذا الاساس استقبل الصـحابة كل الاحداث التى جدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتاجت الى تعرف الحكم فيها ، فاستظهروه وتعرفوا عليه بالنظر لما تضمنه من مصالح أو مفاسد ، ولم يقفوا أمامها جامدين اذ كانوا يؤمنون بأن شريعة الاسلام شريعة عامة دائمة ، وأنها لكل أمة ، حتى تقوم الساعة ، وان الحياة تتجدد وتتطور دائما بطبيعتها ، وان الحـــكم فى حوادثها يكون على وفق ما تتضمن من مصالح أو مفاسد .

موقف الأئمة المجتهدين منها ..

ومع أن ذلك كان هو موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رعاية المصلحة واتخاذها طريقا لتعرف الحــكم فيما يجد من حوادث ، فان المجتهدين من أرباب المذاهب المختلفة المتعددة التى ظهرت وتبلورت فيما بعد ، لم يكادوا يتناولون أصول التشريع بالبحث والنظر والبيــان والتحديد ، حتى اختلفوا فى جواز اعتبارها طريقا الى تعرف الحكم فيما يجد من الحـــوادث .

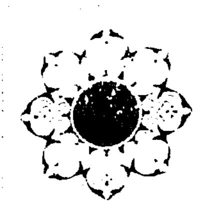
فأنكر بعضهم أن تستقل وحدها ببناء الأحكام عليها ، وذهب بعضهم الى جواز بناء الاحكام عليها ، عند توافر شروط فيها فقط ، ورأى بعضهم جواز بناء الأحكام عليها دون شرط ، وهكذا تعددت المذاهب ، وكثر فيها الخلاف والكلام تحت اسم المصالح المرسلة(١) واتخاذها دليلا شرعيا .

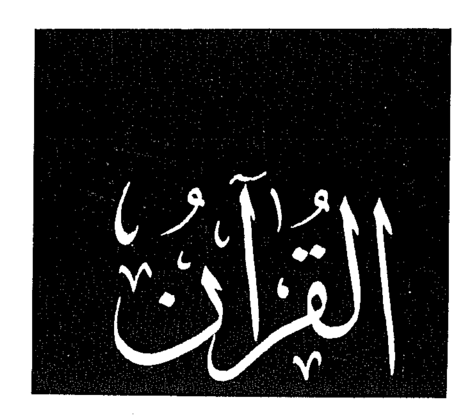
فقائل يرى أن اعتبارها يفتح الباب أمام الأهواء ويدفع الشريعة الاسلامية بأنها تركت بعض المصالح دون اعتبار ، وقائل يرى أن اعتبارها يكسب الشريعة مرونة وخصبا تصلح معها لمسايرة الزمن ، ومواجهة مطالب الاحياء فى كل أمة من الأمم . وآخرون وقفوا موقفا وسطا فرأوا اعتبارها بشروط تضييق من دائرته ، وهم فى هذه الشروط مختلفون !! وفى الحق انه لم يكن للناس أن يختلفوا ، لولا تغير الزمن ، وضعف الدين . والخوف من تسلط الأهواء واتباع الشهوات ، والا فما كان أغنى الناس عن هذا الخلاف ، وقد كان لهم فى طرائق تطبيق الشريعة واخضاع الحوادث لها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أصحابه أيام خلافة أبى بكر وعمر ما يهديهم الى ما هم عليه الآن من خطأ فى طرائق تطبيقها . وأنهم يتنكبون الطريق الى الاستفادة منها ، وانهم لو اهتدوا فى تطبيقها بهدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفهموها كما كانوا يفهمونها ، لأقبلت الأمم عليها تستمد من معينها الذى لا ينضب وتنهل من مناهلها التى لا تعاف ، ولم تترك هذا الترك ، ولم ينكرها أهلها هذا النكران ، وهم أولى الناس بها ، وأولاهم بالقيام على حفظها .

« **الوعى الاسلامى** » : نحن نؤيد شيخنا الجليل فى هذا كله ونرجو أن يخطو هو وأمثاله من علمائنا الفاهمين الورعين الى استعراض ما جد لنا من حوادث على ضوء القواعد التى ذكرها ، وأنا أعرف أن للشيخ الجليل رأيا فى التأمين حدثنى به وعرضه على مجمع البحوث بالأزهر ، ولذا أرجو أن يفتح لنا باب البحث والمناقشة فى هذا الموضوع وانى مع القراء لفى انتظار .

---

(١) وقد عرفوها بأنها ما كانت داخلة فى مقصود الشارع ولم يقم دليل على اعتبارها ولا على الغائها .





شفاء لما في الصدور

للشيخ : عبدالله النوري - الكويت

القرآن صوت الحق الذى به قامت الحياة على هذا الكون .. وقد أراد الله ولا راد لارادته أن يكون الاسلام هو القرآن ، والقرآن الذى نزل به جبريل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاتمة الرسالات قديمة معانيه ثابتة حقائقه (وانه لفى زبر الأولين) (ان هذا لفى الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى) فهو مجلى عناية الله جل شأنه بعباده منذ خلقوا حتى تقوم الساعة وحتى تنقضى على هذه الأرض الحياة .

والقرآن هو الميثاق بين العبد وربه ، وهو العهد الذى يجب الوفاء به ، فما من أمة وفت بالميثاق وحفظت العهد واستضاءت بشريعة الله ، وحكمت بحكمه ، واستظلت بكتابه ، ونفذتاوامره ووقفت عند حدوده ، ورفعت راياته ، وصدقت بكلماته ، وآمنت ايمانا لا شك فيه ، وعبدته عبادة لا شرك فيها من هوى مطاع ونفاق ورياء الا كان الله جل جلاله معها ، يمنحها تأييده المنتصر ، ويسلمها زمام الأرض ، يستخلفها فى ملكه ، ويفيض عليها من أمنه وسلامه لأنه جل شأنه وعد ، والله لا يخلف وعده .

« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

أما ان جحدت الأمة ، واتبعت الهوى ، ووساوس شياطين الانس والجن ، واحدثت وابتدعت واهدرت أحكام القرآن ، واهملت حدوده ، البسها الله لباس

الذل ، واطلق عليها عواصف الرعب وشتت شملها ، وسلط عليهـا عدوا من غيرها يستبيح حماها ، ويهدر عزتها ، ويستعمر مرافقها ، ويستحل حرماتها ويحطم غاياتها .

« ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » .
والله جل شأنه انزل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ، أنزله شفاء لما فى الصدور ، وهداية للضالين ، وهدى للمتقين .

ونحن اليوم فى حاجة لهذا الشفاء ، لاننا فى حال لا نحسد عليها بين الأمم امراضنا مزمنة مستعصية العلاج : امراض اجتماعية وامراض خلقية ، وامراض نفسية ، فأصبح المجتمع مفككا ، وانقلب النظام الى فوضى ، وصار المعروف منكرا ، والبصيرة عمياء كأننا ممن عناهم الله فى قوله (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ..) ولكن لو رجعنا لهذا القرآن لوجدنا فيه الشفاء من كل الادواء . اجل ان فيه الشفاء وفيه الرحمة انه الدواء الذى اعده الله لهذه الأمة ولكل امة تريد الشفاء من أمراضها .

انه الشفاء والرحمة ، وضعه الله بين أيدى المسلمين ، ليس على شاكلة الأدوية ، لأنه دواء يشفى العقل والروح ، يطهر البواطن ، فتطهر الظواهر ، ويسموا بالانسان الى علو ينتصر به على الضعف الانسانى ، وعلى النزعات الحيوانية المندسة فى كيانه البشرى ، وان الذى يستقيم على تنفيذ اوامر القرآن وعلى الدعوة الى القرآن لهو انسان سليم فى كيانه صحيح فى عقله ، معافى فى نفسه ، ثم هو مع ذلك كله قادر على أن يحمل الهدى الى غيره .. فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكون خليفة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وخلفاء نبيه رضوان الله عليهم فى الدعوة الى الله وهداية الناس اليه .
« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » .

(هذا وانه لمن الجهل الشائن ان نقرأ القرآن آية آية ، ثم نزعم ان هذا القرآن كتاب رهبنة فقط يريدنا للآخرة لا للدنيا . لا يا أخى !.. انه فهم خاطىء . ان القرآن العظيم نظام حياة .

« يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .
ان القرآن العظيم دستور دولة ، وقانون حكم ، واصلاح مجتمع .. اخرج به محمد صلى الله عليه وسلم الناس من الجاهلية الى البر والتقوى ، ومن الظلمات الى النور ، أخرجهم من الضلال الى الهدى ، ومن البغى الى الرشد ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن العداء الى الألفة ومن الجهل الى المعرفة .
« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

والقرآن وما يزال منذ أن جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه ينادى أمته أن تخرج من الظلمات ، وأن تقبل على النور ، وأن تلتمس رضوان الله فى اتباع شريعته وحدوده وانظمته ، لأنها وحدها تهدى من اتبعها الى السبيل السوى ، وبها وحدها يقيم حياته على الصراط المستقيم (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » .

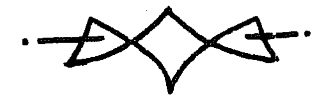
ولكن مما يؤلم حقا أن نرى المسلمين فى جميع اقطار الدنيا ، وقد أعرضوا اعراضا أعمى عن كتاب الله واستبدلوا الادنى بالذى هو خير . نسى المسلمون قرآنهم حتى جهلوه . واوقفوا عمله ، حتى نسوه ، اللهم الا فى كتابة الحجب ، وفى الاستشفاء ببعض آياته أو قراءته للموتى .. وكأن القرآن لم ينزل الا لهذا .. فهل ابهمت كلماته .. أم أن الناس اصبحوا كما قيل فيهم .. « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » .

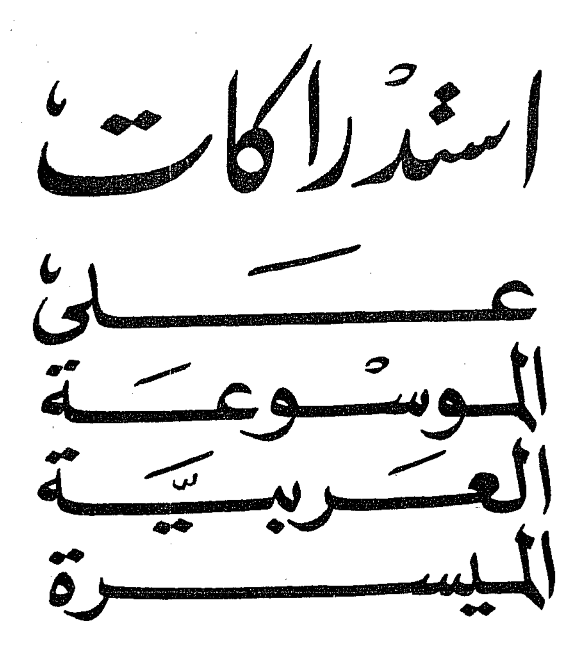
لقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن الى مجتمع وثنى جاهل ظالم مفكك فأصلحه وجعل منه خير امة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فلم لا نكون — ونحن فى عصرنا هذا عالمين لكتاب الله عاملين به وأن ندعو الناس اليه حتى نكون خير خلف لخير سلف ، فنصدق فى ايماننا ونعمل الصالحات .. ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وندعو الى الله ....

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الحارث الأعور رضى الله عنه .
مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الأحاديث . فدخلت على على رضى الله عنه . فقلت يا أمير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث .
قال : أوقد فعلوها .

قلت : نعم و ....
قال أما انى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الا انها ستكون فتنة فقلت وما المخرج منها يا رسول الله .. قال كتاب الله .. فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله .. ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله . وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم ... وهو الذى لا تزيغ به الأهواء .. ولا تلتبس عليه الألسنة ولا يشبع منه العلماء .. ولا يخلق على كثرة الرد .. ولا تنقضى عجائبه .. هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا « انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد . من قال به صدق ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » .





للدكتور أحمد الشرباصي

(الموسوعة العربية الميسرة) كتاب يقع فى الفى صفحة تقريبا من الحجم الكبير ، وقد صدر عام ١٩٦٥ باشراف المرحوم محمد شفيق غربال ، وطبع فى دار القلم بالقاهرة ، وهذه الموسوعة تعد دائرة معارف صغيرة ، اشترك فى كتابتها مجموعة من العلماء والأدباء والمفكرين ، ولذلك كان من الواجب أن تبلغ من الدقة مبلغا يطمئن اليه من يستنبئها ويأخذ عنها ، ولكن الواقع أن هناك مظاهر كثيرة للتقصير والنقص والخطأ والتحريف فى هذه الموسوعة ، وهانذا أذكر فيما يلى طائفة من الملاحظات التى وقع عليها نظرى خلال مطالعتى القليلة المتقطعة فى هذا الكتاب . راجيا ان يكون موضع بحث حين اعادة الطبع له .

الاحظ مثلا أن الموسوعة لم تترجم لمحمد بن اسحاق صاحب السيرة المشهورة ، وهو أحد اعلام العرب واعلام الاسلام ، مع أن الموسوعة ترجمت لنكرات او اشباه نكرات من الشرق أو من الغرب . لقد راجعت مادة (محمد) فلم أجد فيها ابن اسحاق ، وراجعت مادة (ابن) فلم اجده فيه ايضا .

وفى صفحة (١٣١٠) من الموسوعة تتحدث عن فلسطين ، فتذكر أن بريطانيا استولت على فلسطين سنة ١٩٢٠ ، مع أن اللورد اللنبى القائد البريطانى دخل القدس فاتحا فى أواخر سنة ١٩١٧ . والحرب العالمية ، نفسها قد انتهت سنة ١٩١٨ .

ومن المؤسف ان الموسوعة لم تذكر ترجمة للمجاهد العربى الشهيد عز الدين القسام اول من نظم عمل المقاومة الفدائية فىتاريخ الجهاد الفلسطينى الحديث .

وفى صفحة (١٠٢٠) ذكرت الموسوعة سطورا عن (سنت لويس) المدينة الأمريكية الموجودة فى شرقى ولاية ميسورى الأمريكية ، ولكنها لم تذكر مادة لمدينة (سنت لويس) الموجودة فى السنغال ، والتى كانت أولا عاصمة (موريتانيا) ، ثم جاء (مختار ولد داده) رئيس جمهورية موريتانيا الاسلامية ، فجعل مدينة (شنقيط) هى العاصمة . ولم تكتب الموسوعة عن مدينة (شنقيط) ، مع أنه قد ورد ذكرها أكثر من مرة فى مادة (الشنقيطى : غالى بن المختار) وفى مادة (موريتانيا) .

وفى صفحة ٤٥٤ عند الحديث عن بيت المقدس .. جاء قول الموسوعة (انظر سفر الرؤيا) ولكنها لم تخصص مادة لكلمة «سفر الرؤيا» فأصبحت الإحالة على غير موجود . وقد ذكرت الموسوعة مادة « بيت المقدس » ولم تذكر مادة « القدس » ودقة العمل المعجمى الموسوعى كان ينبغى لها أن تذكر مادة «القدس» وعند ذكرها فى مكانها الطبيعى تمكن الإحالة على مادة « بيت المقدس » .

وفى صفحة (١١٦٦) جاءت مادة (طوفان) والعجيب ان الموسوعة لم (تتكرم) على هذه المادة الا بعشرة أسطر معدودة ، منها ستة أسطر عن مراجع ومواطن آيات الطوفان فى التوراة ، والأعجب والأغرب بعد هذا أنها جاءت بسطرين اثنين للاشارة فيهما الى ذكر الطوفان فى القرآن الكريم ، وفى مادة (نوح) صفحة ١٨٥٦ ذكرت كلاما لا يغنى طالب علم ، ونصه كالتالى : (نوح : بانى سفينة نوح التى أنقذت الحياة البشرية من الطوفان . أبناء نوح هم سام وحام ويافث ، وهم أسلاف الجنس البشرى كما هو وارد فى الكتاب المقدس . التكوين ٦ — ١٠) .. وهنا انتهت المادة ولا شىء عنها بعد ذلك .

ثم أنتقل من هذه الملاحظات العابرة الطائرة الى تركيز طائفة من الملاحظات حول المادة التى كتبتها الموسوعة عن كاتب الشرق المرحوم أمير البيان شكيب أرسلان ، فقد تفضلت عليه الموسوعة بسطور تبلغ ربع صفحة من صفحاتها ، ومع قصر هذه الترجمة امتلأت بالأخطاء والتحريفات .

فقد قالت عن شكيب أرسلان فى صفحة ١١٧ ما نصه : (سمى أمير البيان بين أعضاء المجمع العلمى العربى لطلاوة أسلوبه) وهذه العبارة توهم أن تلقيبه بلقب (أمير البيان) كان فى نطاق المجمع العلمى العربى بدمشق ، وهذا غير صحيح ، وقد تحدثت عن هذا اللقب فى صفحات من الجزء الأول من كتابى (أمير البيان) من صفحة (٢٣٢) الى صفحة (٢٣٨) حيث نقلت شواهد على أن تلقيبه بهذا اللقب كان ذائعا فى الشرق كله تقريبا ، واوضحت أن المرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) كان من أسبق الناس الى اطلاق هذا اللقب على شكيب أرسلان .

وقالت الموسوعة عن شكيب : (ولد بلبنان الشويفات) والتعبير هكذا غامض لا يسهل فهمه على من لم يعرف من قبل مكان ولادة شكيب ، وهو قد ولد فى بلدة (الشويفات) وهى تبعد عن بيروت قرابة عشرة أميال ، وهذه البلدة من مقاطعة (الشوف) فكان الواجب ان يقال : (ولد فى بلدة الشويفات من مقاطعة الشوف فى لبنان) .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (واقام بمصر) ولم تحدد هذه الاقامة ، والغالب أن القارىء يفهم منها ان امير البيان اتخذ مصر دار اقامة ، مع أنه لم يمكث فى مصر الا اياماسنة ١٩١١وهو فى طريقه الى ليبيا .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (كان فى دمشق فى الحرب العالمية الأولى ، ثم ذهب الى برلين ، واقام فى جنيف بسويسرا ربع قرن عاد بعدها الى بيروت وتوفى فيها) ، وهناك اكثر من ملاحظة على هذه العبارة ، فهى أولا لم تذكر اقامة شكيب ردحا من الزمن فى بلدة (مرسين) التركية القريبة من الحدود السورية ، وقد صرح شكيب اكثر من مرة بأنه أقام فى مرسين ليسهل عليه رؤية أمه التى يحبها ويجلها ، ويطغى عليه حنينه اليها . انظر صفحة (٩٠) من الجزء الأول من كتاب (أمير البيان شكيب أرسلان) .

والملاحظة الثانية على هذه الجملة أن أمير البيان لم يقم ربع قرن كله فى (جنيف) بل اقام فى غيرها من البلاد مددا من الزمن كبرلين ومرسين وغيرهما من البلاد الكثيرة التى رحل اليها .

والملاحظة الثالثة ان قول الموسوعة : (عاد بعدها الى بيروت وتوفى فيها) قد يفهم منه القارىء أن أمير البيان مدفون فى بيروت ، مع أنه مدفون فى بلدته الشويفات ، فقد نقل جثمانه عقب وفاته اليها ودفن فيها بجوار شقيقه عادل .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (والف عنه الحومانى رسالة فى سيرته وكذلك عارف النكدى) والحومانى لم يؤلف عن شكيب ، وانما أصدر عددا عنه من مجلة كان يصدرها ، وكذلك لم يؤلف عارف النكدى عنه ، وانما كتب عنه مقالة فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق . واذا كانت الموسوعة قد نسبت التأليف عن شكيب الى من لم يؤلف عنه ، فقد تركت ذكر من الف عنه مثل الأستاذ محمد على الطاهر وغيره .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (قد نظم الشعر فى صباه) وهذا تعبير يفيد بالمضمون والمفهوم أنه قد ترك الشعر بعد صباه ، وهذا غير صحيح ، وقد أوضحت فى دراستى عنه أنه ظل يقول الشعر على فترات الى المرحلة الأخيرة من حياته .

وتقول الموسوعة : (من مؤلفاته الحلل السندسية فى الرحلة الأندلسية فى عشرة مجلدات) وهذه العبارة توهم أن الكتاب المطبوع بهذا الاسم يقع فى عشرة مجلدات ، مع أن الكتاب لم يتجاوز المطبوع منه ثلاثة أجزاء .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (ترجم الى العربية (آخر بنى سراج) الشاتوبريان وعلق عليها) وكان ينبغى أن تبين الموسوعة أن كتاب (آخر بنى سراج) قصة الشاتوبريان .

وذكرت الموسوعة بين مؤلفات شكيب ارسلان كتابا سمته (رحلة الحجاز) ووضعت هذا الاسم بين علامتى التنصيص ، وليس لشكيب كتاب بهذا الاسم ، وقد يذهب الى احدى دور الكتب ويقضى الوقت الطويل فى البحث عن هذا الكتاب فلا يجده ، لأن أمير البيان لم يؤلف كتابا بهذا العنوان ، وانما الف كتابا عنوانه (الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج الى أقدس مطاف) . وقد صور فى هذا الكتاب رحلته الى الحج سنة ١٣٤٨هـ ـــ ١٩٢٩م .

البقية على صفحة ٤٧

الجامع الأزهر

كان بناء (المسجد) أول ما يفكر فيه المسلمون عند انشاء مدينة جديدة ، او استيلائهم على مدائن غيرهم ، وقد وضع هذه السياسة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كتب الى ولاة الامصار باتخاذ مساجد للجماعة فى العاصمة .

وقد نفذت هذه السياسة فى مصر منذ الفتح الاسلامى ، حيث اسس عمرو بن العاص مدينة (الفسطاط) سنة ٢١ هـ ، وبنى فيها جامعه العتيق .

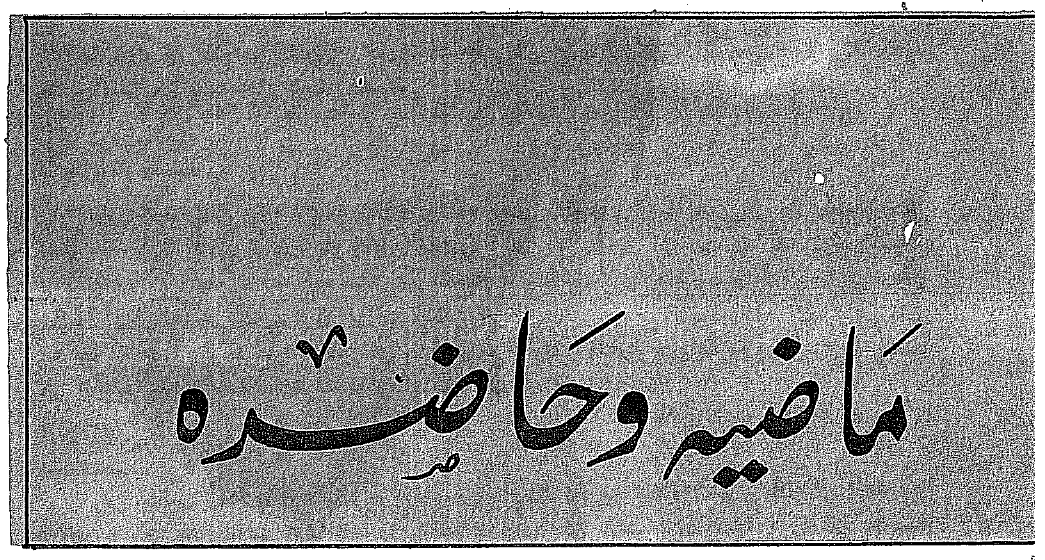
ولما جاء العباسيون أسس صالح بن على العباسى مدينة (العسكر) سنة ١٣٣ هـ ، وبنى الفضل ابنه مسجد العسكر سنة ١٦٩ هـ ، وكان قد ولى مصر من قبل الخليفة المهدى على صلاتها وخراجها ، فدخلها سلخ المحرم سنة ١٦٩ هـ .

فلما استقل احمد بن طولون بمصر بنى مدينة (القطائع) لتكون عاصمة لدولته سنة ٢٥٦ هـ ، ثم انشأ بها جامعه المشهور سنة ٢٦٣ هـ .

ولما استولى جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى على مصر أسس مدينة (القاهرة) وبنى بها (الجامع الازهر) سنة ٣٥٩ هـ ، فانشىء الازهر غداة ظفر الفاطميين بملك مصر ، ومع قيام القاهرة العاصمة الجديدة (١) ، فكان الأزهر خير ما خلفه الفاطميون لمصر ، بل وللعالم الاسلامى أجمع ، فكان بيتا من بيوت الله ، يعمر النفوس بالايمان ، ويهديها سواء السبيل ، ثم صار جامعة دينية اسلامية كبرى ، يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار الاسلامية ، ويتخرج فيها العلماء والائمة فى جميع العلوم والفنون .

تاريخ انشائه

وقد بدىء بانشاء الازهر فى ٢٤ من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠م) ، وتم بناؤه فى عامين وبضعة اشهر ، وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع ، او التاسع من رمضان سنة ٣٦١ هـ — (٩٧٢م) ، وسمى (بجامع القاهرة) اسم العاصمة الجديدة ، اما تسميته (بالجامع الازهر)



الدكتور : زكي محمد غنيث
رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

فقد جاءت متاخرة بعد انشاء القصور الفاطمية فى عهد العزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ) التى اطلق عليها اسم (القصور الزاهرة) ومن ثم اطلق عليه اسم (الجامع الازهر) ، او انه سمى (الجامع الازهر) تفاؤلا بما سيكون له من مستقبل زاهر ، ومكانة سامية بازدهار العلوم فيه ، وان كان المرجح أن هذه التسمية مشتقة من لفظ (الزهراء) لقب السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وزوج الامام على رضى الله عنه التى نسبت اليها الدولة الجديدة ، وسميت باسمها ، وقد ظل المسجد الجديد يعرف (بجامع القاهرة ، والجامع الازهر) ثم تلاشى الاسم الاول مع الزمن وغلب عليه اسم (الجامع الازهر) الى اليوم .

والغرض منه

وكان الغرض من انشائه ان يكون المسجد الرسمى للدولة فى عاصمتها الجديدة ، وليكون موطن الدعوة الشيعية ، ورمز سيادة الدولة الروحية ، وكانت له فوق ذلك اهمية رسمية خاصة ، ففيه كان جلوس قاضى القضاة ، وفيه مركز المحتسب العام ، وفيه كان يعقد كثير من المجالس الخلافية والقضائية .

فالجامع الازهر عند انشائه كانت له الصفة الدينية والرسمية كسائر المساجد الاخرى ، غير انه لم يلبث ان اتخذ له صفة اخرى هى الصفة (العلمية التعليمية) ، وذلك عندما فكر الخلفاء الفاطميون فى نشر مذهبهم الجديد ، عن طريق دروس تلقى فى حلقاته ، لان جامع عمرو ، وجامع ابن طولون قد جرت الدراسة فيهما ، وفق تقاليد علمية ، لا تساير تعاليم المذهب الشيعى الجديد فكان من المناسب ان يكون المسجد الجديد (الازهر) هو المكان المختار ، لنشر تعاليم مذهبهم ، واصبح (الجامع الازهر) مدرسة علمية يتلقى فيها طلاب العلم ورواده الذين قصدوه من كل صوب مختلف العلوم والفنون ، بجانب نشر دعوتهم ، ومذهبهم الشيعى الجديد ، وسبق الازهر بصفته

العلمية غيره من المساجد الاخرى ، التى كانت تقوم الى جانبه ، وظل مذى قرون ، ولا يزال مقصد طلاب العلم من كافة ارجاء العالم الاسلامى .

اول درس فيه

واول درس القى فى (الجامع الازهر) القاه قاضى القضاة (ابو الحسن على بن النعمان) فى صفر سنة ٣٦٥ هـ فى اواخر ايام المعز الفاطمى ، قرا فيه مختصر ابيه فى فقه آل البيت المسمى (الاقتصار) ، وحضر درسه جمع حافل من العلماء ، والكبراء ، واثبتت اسماء الحاضرين فى سجل تخليدا لهذا الحدث الجديد ، ثم توالت حلقات بنى النعمان ، وقد اسهمت هذه الاسرة فى نشر المذهب الشيعى ، وخدمت الفاطميين فى بث دعوتهم ، ونشر مذهبهم فى المغرب ومصر (٢) ، وكانت فى الواقع دروسا مذهبية خالصة اعدت للدعاية السياسية والمذهبية .

ابن كلس

وفى رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس (يعقوب بن كلس(٣)) وزير الخليفة العزيز بالله فى الجامع الازهر ، وقرا على الناس كتابا الفه فى الفقه الشيعى على مذهب الاسماعيلية ، وتوالى جلوسه بعد ذلك لقراءته فى الازهر ، وكان يحضر دروسه الفقهاء والقضاة ، وكبار رجال الدولة ، كما كانت له مجالس علم فى داره ، يجتمع فيها الفقهاء وغيرهم من اهل العلم والمعرفة فى سائر العلوم والفنون .

ولم تقف جهود ابن كلس عند هذا الحد ، فانه اراد ان يجعل (الجامع الازهر) ممهدا للدراسة المنظمة المنتظمة ، فطلب من الخليفة العزيز بالله تعيين جماعة من الفقهاء للدرس والقراءة فى اوقات منتظمة مستمرة وذلك سنة ٣٧٨ هـ ، على ان تعقد حلقاتهم فى الازهر ، وان يجرى عليهم الارزاق ، فاستحسن الخليفة الفكرة ، واجابه الى ما طلب ، وكانوا نيفا وثلاثين فقيها ، فكانوا يحضرون فى كل يوم جمعة للصلاة بالازهر ، وياخذون فى قراءة الفقه ، ومدارسة الحكمة ، وعقائد الدين الى صلاة العصر .

وهكذا بدات الدراسة فى (الجامع الازهر) ، واتخذ منذ ذلك التاريخ صفته التعليمية ، وقصده الطلاب من كل صوب ، واصبح به طلبة متفرغون للدراسة ، وقد وفرت الدولة للمدرسين والطلاب ما يعينهم على الدراسة والتحصيل حتى لا تشغلهم مطالب الحياة ، او السعى وراء الرزق ، فرتبت لهم الارزاق والجرايات ، وبنت لهم المساكن ، وقدمت لهم الكسوة فى كل عيد ، ويسرت لهم سبل الركوب والانتقال احتراما لهم ، وتقديرا لعلمهم ، واستطاع (الازهر) بما فيه من اساتذة رسميين ، وطلاب منتسبين تجرى عليهم جميعا الارزاق الدائمة ان يكون معهدا للدرس ، وان يبدا حياته العلمية الحافلة المديدة .

وكانت الصبغة المذهبية هى الغالبة على الدراسة فى الازهر ولا سيما فى اول عهده ، لانه كان مركزا لمجالس الحكمة التى كان يعقدها الدعاة فيه ، والتى كانت غايتها بث الدعوة الفاطمية ، وتوطيد امامتها ، فكانت علوم الشيعة وفقه آل البيت تحتل من حلقاته الدينية المقام الاول ، غير ان هذا لم يمنع من تدريس علوم الدين ، واللغة وفروعها ، وكان للعلوم الدينية بنوع خاص اوفر نصيب ، كما كانت تدرس به علوم : الفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والرياضيات وان كان ذلك فى حدود ضيقة .

دار العلم او دار الحكمة

ظل الجامع الازهر المركز العلمى الرئيسى للثقافة الشيعية ، والعلوم الدينية ، والعربية ،

والكونية حتى ظهر له منافس خطير هو (دار العلم) التى انشاها الخليفة الفاطمى الحاكم ســ ٣٩٥ هـ (٤) ، فقد انتزعت منه الكثير من رواده ، وتفوقت عليه ، واثرت فى سير الدراسة به بسبب ما وجد بها من دراسات مختلفة للغة ، والمنطق ، والفلسفة ، والطب ، والرياضيات فى حرية وانطلاق ، ولتشجيع الخليفة الحاكم لطلابها ، غير ان ازدهار (دار العلم) كان قصيرا ، لما انتابها من اضطرابات اخلت بالتعليم فيها ، وبقى الأزهر ملاذا للعلوم الدينية ، والعربية ، ولم يقلل قيام (دار العلم) من شانه كمعهد للقراءة ، والدرس .

بقيت الصفة (التعليمية) مميزة للجامع الأزهر طوال العصر الفاطمى ، فزاد عدد طلابـــه واساتذته ، وكثرت اروقته ، وحلقات التعليم به ، ونمت الدراسة فيه وازدهرت ، حتى بدا يجتذب اليه الطلاب والعلماء من خارج مصر ، واستطاع ان يكـــون (جامعة علميـــة) جليلـــة القدر ، وان يسدى الى الـــدين واللغـــة اجل الخدمـــات على مر الســـنين ، حتى غدا كعبة لقصاده من سائر الاقطار الاسلامية ، كما قال المقريزى فى خططه . ((ولم يزل فى هذا الجامع ــ الأزهر ــ منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه ، وبلغت عدتهم فى هـــذه الأيام ــ سنة ٨١٨ هـ ــ سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم ، وزيالعة ــ نسبة الى زيلع ــ ومن اهل ريف مصر ، ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم ، فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القـــرآن ، ودراسته ، وتلقينـــه ، والاشتغال بانواع العلوم ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، ومجالس الوعظ ، وحلق الذكر ، فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله ، والارتياح ، وترويح النفس ما لا يجده فى غيره ، وصار ارباب الأموال يقصدون هذا الجامع بانواع البر من الذهب والفضة والفلوس ، اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى ، وكل قليل تحمل اليه انواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا ســـيما فى المواسم)) .

فى عهد الدولة الأيوبية

استمر الأزهر فى اداء رسالته العلمية ، يحمل مشعل المعرفة الوهاج ، حتى غدا منار العلم وموئل العلماء طوال العهد الفاطمى ، فلما قامت الـــدولة الأيوبية بدا نجمه فى الأفـــول ، لأن السلطان صلاح الدين الأيوبى قد عمل منذ اللحظة التى استقل فيها بحكم مصر سنة ٥٦٧ هـ على محاربة التشيع ، ونشر المذهب السنى ، فابطل الخطبة من الجامع الأزهر مركز الدعوة الشيعية ابطلها قاضى القضاة الشافعى فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى ، المسمى : (صدر الدين عبد الملك بن درباس) ، لأن الشافعية لا يجيزون اقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، واقرها فى جامع الحاكم ، وبقى الأزهر معطلا من اقامة الجمعة فيه نحو مائة عام ، الى أن اعيدت اليه فى عهد الملك (الظاهر بيبرس البندقدارى) سنة ٦٦٥ هـ .

فى ايام المماليك

غير ان هذه المحنة لم تؤثر فيه ، فقد تابع حياته العلمية ، ووجد فى ظل المماليك الرعايـــة الكاملة ، وبرزت صفته العلمية بروزا واضحا فى عصرهـــم ، وتمكن من المحافظة عـــلى التراث الاسلامى خلال المحنة التى حلت بالشرق الاسلامى من جراء الغزو المغولى ، ثم ما اصيبت به معاهد العلم والمساجد فى الأندلس ، وبلاد المغرب من ذبول وضعف ، مما جعله مقصد العلماء والطلاب من الشرق والمغرب ، يجدون فى رحابه الملجأ والملاذ ، وغدت القاهرة ــ مقر الجـــامع الأزهر ، وكرسى الخلافة الاسلامية ــ قلب العالم الاسلامى النابض ، وامل العروبة والاسلام ، واعتبر عصر المماليك بحق . ((العصر الذهبى للجامع الأزهر)) من حيث الانتاج العلمى الممتاز ، ومحافظته على التراث الاسلامى ، وقيامه على اداء رسالته العلمية والتعليمية للمسلمين كافة ، واحتلاله مركز الزعـــامة .

فى عهد الأتراك

واصل الأزهر سيره ، يؤدى واجبه فى خدمة الدين والثقافة بهمة فائقة ، ونشاط كبير ، حتى منيت البلاد بالفتح التركى العثمانى سنه ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) فحلت بالديار المصرية الكارثة ، واغتصب السلطان سليم الأول خير ما فيها من تحف وآثار ، وكتب نفيسة ، وسلب البلاد عمالها وصناعها ، وبعث بكل ذلك الى القسطنطينية العاصمة ، وكان طبيعيا ان يصيب الأزهر ما اصاب البلاد من اضرار جسيمة ، فاختفت من رحابه الصفوة الممتازة من علمائه الأعلام ، وخفت صوته وانكمشت اهدافه وبرامجه الدراسية ، واقتصرت الدراسة فيه على العلوم الدينية ، والعربية واختفت العلوم الرياضية ، والفلسفية ، والطبية وغيرها من سائر العلوم الكونية ، وخيم عليه ركود طويل كاد يقضى عليه ، ويخمد انفاسه .

وحين جاءت الحملة الفرنسية

وعلى غير انتظار احتل الفرنسيون الديار المصرية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨م) فايقظت حملتهم الأزهر من سباته ، ونبهته من غفوته ، ووجد نفسه تحت ضغط الظروف والحوادث ، يشارك فى الحركة القومية بتعبئة قوى الكفاح الشعبى ضد المستعمر الجديد ، وغرس الكراهية فى النفوس ضد الفرنسيين ، الدخلاء ، فلعب دورا سياسيا خطيرا ابان الاحتلال الفرنسى ، واحتل موضع القيادة الروحية ، والزعامة السياسية فى البلاد ، فكانت يقظة قومية وطنية قبل ان تكون يقظة علمية ، قادها كبار رجال الأزهر بزعامة شيخ الأزهر (الشيخ عبد الله الشرقاوى) ، وثارت القاهرة مرتين فى وجه الفرنسيين ، ثم قتل (كليبر) نائب نابليون بيد سليمان الحلبى) المنتمى الى الأزهر وازعجت هذه الأحداث الفرنسيين ، فنزحوا عن البلاد نهائيا بزعيم الجنرال (مينو) فى شهر ربيع الآخر سنة ١٢١٦ هـ (سبتمبر سنة ١٨٠١م) بعد ان مكثوا بها ثلاث سنوات وبضعة اشهر ، ارهقوا فيها اهل البلاد عامة من امرهم عسرا ، ونالوا من قداسة الجامع الأزهر وكرامة اهله .

فى عهد محمد على

فلما آل حكم الديار المصرية الى « محمد على » سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥م) لم يجد الأزهر عطفا من النهضة القومية فى بادىء الأمر ، ولم يحفظ سيد البلاد الجديد الجميل لعلماء الأزهر الذين ارتقى على اكتافهم الى منصب الولاية ، وابتدأ عهده بالاستيلاء على املاك الأزهر الخاصة الواسعة ، وفقد الأزهر بسبب اغتصاب اوقافه اهم موارده المالية ، ومع ذلك فان رغبة محمد على فى الاصلاح ، وفى اقامة بناء دولته الجديدة على اسس سليمة جعلته يرغب فى الاسترشاد بالأفكار الاوربية ، فاتجه الى ارسال البعوث العلمية الى الخارج ، فانشا فى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦م) — البعثة العلمية الى باريس ، واختار لها نخبة من انجب طلاب الأزهر ليتلقوا العلم على اساليب جديدة (٥) ، فكانت هذه خطوة عملية نحو اصلاح الأزهر وادخال اساليب البحث الحديث فيه ، والاهتمام بالعلوم الحديثة التى كانت مهملة ، غير ان الأزهر لم يستجب لهذه المحاولة ، وظل متمسكا باسلوبه القديم ، كما عارض رجاله بشدة دعوة الزعيمين جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده فى اصلاح الأزهر ، وضاعت جهودهما فى سبيل اصلاح الأزهر هباء ، وان كانت دعوتهما قد اثمرت فى خارجه حيث وجدت استجابة من بعض شباب البلاد ، ونشا جيل من المفكرين الاحرار شارك فيما بعد فى اصلاح الأزهر .

لم يحل جهود الأزهريين دون بذل عدة محاولات لاصلاح الأزهر باصدار القوانين المنظمة له ، فصدر اول قانون سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢م) فى عهد مشيخة الشيخ محمد العباسى المهدى ، وادخلت بمقتضاه عدة اصلاحات على مناهج الدراسة ، ونظام الادارة ، وتقرر ادخال .. (امتحان

الشهادة العالية ، وامتحان الطلاب الراغبين فى الحصول عليها ، امام لجنة يعينها شيخ الجامع الأزهر من بين علمائه) .

ثم فى عهد مشيخة الشيخ سليم البشرى صدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م الذى يعتبر من اهم قوانين اصلاح الأزهر فى حينه ، واكثرها عناية بمناهجه ، وخطة الدراسة فيه ، وبمقتضاه حددت اختصاصات شيخ الأزهر ، وانشىء مجلس الازهر الاعلى ، وجماعة كبار العلماء ، وشيوخ المذاهب الأربعة ، وادخلت العلوم الحديثة فيه .

كما صدر فى عهد مشيخة الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى المرسوم بقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠م ، الخاص باعادة تنظيم الجامع الأزهر ، والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ، والذى حولت بموجبه الدراسة العالية بالأزهر (القسم العالى) الى كليات ثلاث ، والى انشاء اقسام للتخصص فى المادة ، والمهنة بعد الحصول على الشهادة العالية من احدى الكليات ، ولذا فان هذا القانون يعتبر بحق اول خطوة رسمية فى تمكين الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمى والاجتماعى فى العصر الحاضر فى تزويد طلابه بما يجب ان يحيط به رجل الدين الحديث من العلوم ومن الاتجاهات .

مشيخة الشيخ المراغى

ثم كانت خطوة اوسع نحو الاصلاح على عهد مشيخة الشيخ محمد مصطفى المراغى الثانية (١٩٣٥ — ١٩٤٥م) بصدور المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م ، وقد نجح هذا القانون فى معالجة الكثير من مشاكل الاصلاح فى الأزهر ، وفى النهوض بالأزهر الى مستوى الجامعات الحديثة الكبرى ، وقد ارفق الشيخ المراغى مشروع هذا القانون بمذكرة اوضح فيها وجهة نظره ، وانه يريد للأزهر ان يساير الحياة المعاصرة عن فهم وادراك ، كما انه يريد بهذا الاصلاح أن يفى الأزهر بالأغراض التى تحقق آمال المسلمين فيه ، وترجع به الى عصوره الزاهرة من البحث العلمى السليم ، والتفكير الحر ، ودراسة الفنون التى تتفق مع طابعه القديم ، وتطابق مقتضيات العصر ، وتلبى رغباته ، وان يتصل بالنهضة الحديثة فى الغرب عن طريق تعلم اللغات الأجنبية ليرد شبهات المضللين ، ويدفع التهم الموجهة الى الدين فى كتابات الأجانب المغرضين ، ويفيد من طريقة وضعهم للكتب ، ومعالجتهم للمسائل العلمية ، ونورد فيما يلى بعض فقرات من تلك المذكرة ، فقد جاء فيها . « .. ونحن اذ نحاول اصلاح الأزهر نريد ان نوجد طالبا يفهم مسائل العلم فهما صحيحا ، ويفهم أغراضها ، وصلتها بادلتها ، وصلتها بعضها ببعض ، ويستطيع التطبيق على الجزئيات ، ويستطيع الاستنباط والتدليل ، ويستطيع فهم الكتب القديمة التى ألفت فى العصور المختلفة فى جميع الفنون الاسلامية ، ... ، واحب ان توجد كتب فى جميع الفنون الحديثة على اسلوب عربى صحيح مناسب لأذواق الأجيال الحاضرة ، تهذب فيه المسائل على احسن ما وصل اليه التحقيق العلمى ، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة فى الأسلوب والوضع ، ... ، هذا الذى نحاوله بالتجديد . يجب — على ما ارى — ان يضعه الناس امامهم ، وان يجدوا للوصول اليه ، ... ، ولقد كان اسلافنا اشد الناس عناية بالعلم ، فلم يمض الزمن القليل حتى اخذوا علم اليونان ، وادب الفرس ، وحكمة الهند واستعانوا بذلك كله فى تفسير القرآن ، وفى وضع علم الكلام على الأسس التى نراها فى مثل المواقف والمقاصد ، واستعانوا به فى تنظيم مسائل العلوم جميعها ، فلم يخل علم من اثر الفلسفة والمنطق ، ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب فى التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة ،... وتغيرت نظريات الفلسفة ، وحدثت نظريات أخرى ، وكان من شان هذا كله ان توجه على الاديان جملة ، وعلى الاسلام خاصة حملات ، وصار من الواجب الحتم على علماء المسلمين ان يحيطوا علما بكل ما يوجه الى الأديان عامة ، والى الإسلام خاصة من مطاعن ، وان يردوا تلك المطاعن التى توجه الى الاسلام ، ويذودوا عن عقيدتهم بادلة ناصعة ، واسلوب مقنع ممتع ، ليجنبوا المتعلمين

تعليما مدنيا الشبه الزائفة ، وليضموا الى الاسلام أفرادا وشعوبا من الأمـــم التى تتطلـــع الى لاسلام ، وتبتغى الوقوف على خصائصه ومزاياه ، وهذا لا يتم لهم على ما ينبغى الا بالاتصال يرهم اتصالا علميا ، وبتعرف اللغات الحية التى يكثر فيها الانتاج العلمى ، والتى يتناول بهـــا العلماء مسائل الاسلام ، ومسائل اللغة العربية ، لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات ، وهنالك فائدة أخرى لتعلم اللغات ، وهى أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب ، وعلى معرفة الأسلوب الحديث فى التأليف والتفكير ، وطريقة عرض المسائل على انظار المتعلمين .... الـــخ .. » .

بهذا الاصلاح يكون الشيخ المراغى قد أتم ما بدأه الشيخ محمد عبده ، وقد كرس الشيخ المراغى فترة السنوات العشر التى أعقبت صدور القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م على تنفيذ هـــذه الاصلاحات حتى لقى ربه فى الثانى والعشرين من اغسطس سنة ١٩٤٥م رحمه الله .

وقد تعاقب على كرسى مشيخة الجامع الأزهر بعد الشيخ المراغى عدد من جلة شيوخ الازهر هم . الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان مؤمنا بالاصلاحات التى أدخلها الشيخ المراغى ، غير أن المنية قد عاجلته سنة ١٩٤٧م ثم الشيخ محمد مأمون الشناوى ، والشيخ عبد المجيد سليم للمرة الاولى ، والشيخ ابراهيم حمروش ، والشيخ عبد المجيد سليم للمرة الثانية ، والشيخ محمـــد الخضر حسين ، والشيخ عبد الرحمن تاج ، والشيخ محمود شلتوت ، وقد صدرت خلال هذه الحقبة عدة قوانين مُعدلة للقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م ، والقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٥٦م ، ثم القرار الجمهورى رقم ١٥٢٥ لسنة ١٩٥٩م ، وكلها تستهدف اصلاح الأزهر والنهوض به ، والارتفاع بمستواه العلمى والمادى .

وهكذا تقلبت الأحوال بالازهر من عسر ويسر ، وذاق خلالها حلاوة العزة والقوة ، ومـــرارة الوهن والضعف خلال فترة تجاوزت الألف عام من عمره المديد ، ورغم الظروف والأحداث التى مرت به لم يقصر فى اداء واجبه ، وظل عامرا بالطلاب ، زاخرا بالعلماء يؤدى رسالته العلمية والوطنية فى ثقة واطمئنان ، واخيرا صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن اعادة تنظيم الأزهـــــر ، والهيئات التى يشملها فى عهد الشيخ محمود شلتوت ، وأصبح الجامع الأزهر لأول مرة بموجب هذا القانون (جامعة) ، واضيف اليه عدد من الكليات بجانب كلياته الثلاث السابقة ، وأصبحت كليات (جامعة الأزهر) الجديدة اليوم هى ، المعاملات والادارة (التجارة) والبنات الاسلامية ، والهندسة والصناعات ، والطب ، والزراعة ، والتربية ، وقد ترك الباب مفتوحا لانشاء كليـــات اخرى ــ غير الكليات التسع ــ ومعاهد عالية طبقا لحاجة التطور ومسايرته .

وكان هذا التطور الجديد ضرورة تحتمها الحياة المعاصرة ، وتقتضيها ظروف المسلمين فى انحاء العالم الاسلامى الذين ينظرون الى الأزهر على أنه من بين مقدساتهم ، لجليل نفعه ، وعظيم اثره فى خدمة علوم الدين واللغة ، وحفظ تراث الاسلام والعروبة .

وقد نوهت المذكرة الايضاحية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بمكانة الأزهر ، وما يرجى له من مستقبل ، وبما يمكن أن يؤديه من خدمات جليلة فى جميع ارجاء العالم الاسلامى بعد اعداد أهله وفق اهداف هذا القانون ، فقد جاء فيها : « ... لقد قام الأزهر بدور عظيم فى تاريخ العلم ، وفى تاريخ الاسلام ، وفى تاريخ العروبة ، وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ، ووقف قلعة شامخة فى وجه كل المحاولات لاستعبادنا ، والسيطرة علينا ، وتحطيم كياننا القومى والروحى » ، « وكانت التقـــاليد العلمية فى الأزهر أساسا للنظام الجامعى ، والتقاليد الجـــامعية فى كل بلاد الدنيا ، فهو أقدم جامعة فى العالم ، وان لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا » .

(ومن علم الأزهر شع نور الاســــلام فى بلاد كثيرة من افريقيـــا ، ومن آسيا ، وازداد عدد المسلمين عشرات الملايين ، وكانت بعوث الأمم المختلفة الى الأزهر سببا لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة ،

وشعوب كثيرة منذ اقدم العصور الى اليوم ، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية ، واكتسب المنتسبون اليه احتراما ، وصار رايه هو الراى فى كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، وصار هو الجامعة الاسلامية الكبرى فى الشرق والغرب ، لا يطلب احد علوم الاسلام الا عن طريق الأزهر ، ولا تتجه قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها الى معهد يفد اليه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غير الأزهر .... الخ) .

ثم تناولت المذكرة بالتفصيل المبادىء التى تحقق ما يهدف اليه القانون من اصلاح الأزهر حتى يعود اليه شبابه ، وترتفع مكانته ، وينهض برسالته فى الداخل والخارج ويصبح ابن الأزهر قادرا على المشاركة بدور ايجابى نافع لمجتمعه خاصة ، والمجتمع الاسلامى عامة ، « وحتى يتوفر للأمة نوع من الخبرات التى تملك الى جانب العقيدة الواعية كفاية عملية ومهنيه وعلمية ، تشارك فى مجالات العمل والانتاج فى نفس الوقت الذى تدعو فيه الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة » .

فالأزهر اليوم سيد جامعات الاسلام دون منازع ، واليه يرجع الفضل فى صيانة الثقافة الاسلامية العربية فى ظلمات العصر التركى العثمانى بمصر ، وفى مقدور الأزهر اليوم ان يشق طريقه فى ظل هذا التطوير ، وتلك الرعاية التى تظله بها الدولة ليؤدى الى العالم الاسلامى اعظم الخدمات ، ويضيف الى ماثره القديمة مجدا جديدا اذا جدد نفسه ، وفهم رسالة الاسلام العلمية كما كان يفهمها سلفنا العظيم ، حتى تتاكد زعامته ، وتتالق مشاعل المعرفة من ارجائه ، حتى يعم نورها ارجاء المعمورة . ذلك ما نرجوه ، والله ولى التوفيق .

---

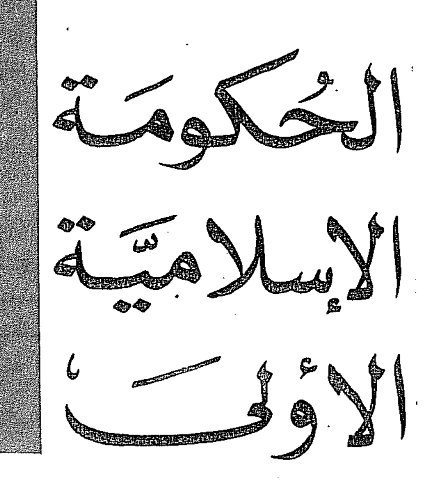
(١) دخل جوهر مصر فى يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨هـ ، واختط مدينة القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩هـ بعد عام من فتحه لمصر ، وحينما انتقل اليها المعز لدين الله سنة ٣٦٣هـ اصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية .

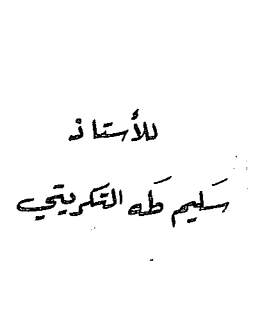
(٢) عميد هذه الاسرة هو : النعمان بن محمد الفقيه الشيعى المعروف (بابى حنيفة النعمان) قدم القاهرة مع المعز وتوفى بها سنة ٣٦٣هـ ، وقد ولى القضاء بعده ابناؤه واحفاده وابناء اخوته . (انظر كتاب . التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول للأستاذ خطاب عطية على ، طبعة ١٩٤٧م ، هامش ٢ ص ١٠٥) .

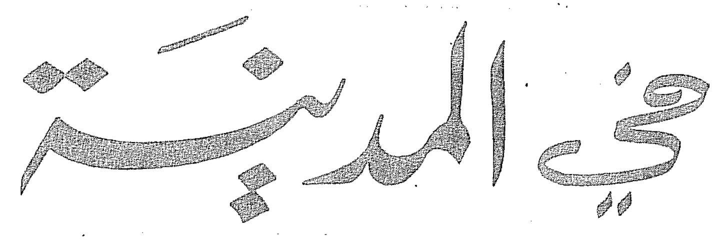
(٣) ابن كلس ، هو . ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، كان يهوديا من اهل بغداد ، اتصل بخدمة كافور الأخشيدى بمصر فاظهر خبرة وبراعة ، ثم اسلم بعد ذلك فارتفعت مكانته فى بلاط كافور ، ونال حظوته ، ثم انه رحل الى المغرب فرارا من وجه الوزير . ابى الفضل جعفر بن الفرات الذى استبد بالأمر فى مصر بعد موت كافور ، واتصل بالمعز فقربه واكرمه ، ثم وزر لابنه العزيز بالله ، وكان يحظى عنده بمكانة ممتازة ، فلما اعترته علة الموت عاده الخليفة العزيز بالله ، ولما توفى سنة ٣٨٠هـ صلى عليه ، وظهر الحزن فى وجهه لفقده ، وامر بغلق الدواوين اياما بعده .

(٤) وقيل انشئت دار العلم سنة ٤٠٠هـ ، وقد عنى الخليفة الحاكم بها عناية بالغة ، والحق بها مكتبة نقل اليها من قصور الخلافة الكثير من الكتب فى سائر العلوم والفنون ، وكانت تعرف المكتبة . بدار الحكمة ، فدار العلم كانت . مدرسة ، ومكتبة ، وكذا عرفت . « بدار العلم حينا ، وبدار الحكمة حيناآخر » ، لأنها جمعت بين ما كانت تقوم به خزائن الحكمة كدور للكتب ، وما كانت تقوم به دور العلم منتعليم ، وظلت تؤدى رسالتها حتى زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ ، على يد صلاح الدين الأيوبى فجعلها مدرسة سنية لدراسة المذهب الشافعى طبقا لسياسته فى محاربة التشيع .

(٥) من بين اعضاء هذه البعثة ، رفاعة بك الطهطاوى الذى عد شيخ المترجمين ، وابراهيم بك النبراوى احد نوابغ البعثة الطبية ، واحمد حسن الرشيدى بك من اكابر خريجى مدرسة الطب والبعثات ، وغيرهم كثير ، كان لهم جميعا على النهضة المصرية فضل كبير .







فى هذا الوقت الذى تضطرب فيه احوال الحكومات العربية والاسلامية بصفة خاصة ، ويتربص أعداء العروبة والاسلام الكثيرون بالعالمين العربى والاسلامى ، ويكيدون لهما فى كل مجال من مجالات الحياة ، وفى هذا الوقت الذى لا تزال فيه اسرائيل تجثم بوطأة احتلالها البغيض ، ليس على الاجزاء التى اقتطعتها قبل عشرين سنة من فلسطين الشهيدة فحسب ، بل تواصل سياستها الاحتلالية العدوانية ضد ما تبقى من فلسطين وصحراء سيناء وغربى سوريا ، فى هذا الوقت بالذات يكون من المفيد للعرب والمسلمين أن يعودوا مرة أخرى الى دينهم الحنيف ، يتمسكون بشعائره ، ويستوحون من تطبيق مبادئه وسائل قوتهم ومنعتهم ، وتنظيم شئون الحكم فى ديارهم على الاسس القويمة التى جاء بها ، والتى قامت عليها الحكومات الاسلامية سواء فى عهد الرسول الاعظم أم خلفائه الراشدين من بعده .

ولعل من أبرز الاسس التى وضعها الاسلام للحكم ما تجلى تطبيقه فى عهد الحكومة الاسلامية الاولى التى أقامها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة اثر هجرته اليها .

ذلك أن الهدف من هجرة الرسول وصحبه الكرام من مكة الى المدينة ، لم يكن ليقتصر على الخلاص من الاضطهاد الذى كان يتعرض له هو وأتباعه على أيدى قريش فى مكة ، ولا تفادى الظلم الفادح الذى أنزل بهم هناك ، واصابة الامن والسلام فى رحاب المدينة .

فما خلا هذا الهدف كان للهجرة اهداف اخرى تتركز فى اتخاذ المدينة المنورة مقرا جديدا للدعوة الاسلامية ، وقاعدة للدين الاسلامى ينطلق منها الى مختلف انحاء الحجاز وجزيرة العرب اولا ، والى بقية بقاع العالم أخيرا .

لقد كان من اهم النتائج التى تمخضت عنها حركة الهجرة النبوية الى المدينة انشاء اول حكومة اسلامية تخضع لادارة الرسول واشرافه التام فى ذلك الجزء الصغير ، من بلاد العرب ، وتأخذ على عاتقها مهمة نشر الدعوة الاسلامية ، وايصالها الى الاقوام التى حيل بينها وبين الاهتداء بأنوار الاسلام الساطعة ، والتمسك بتعاليمه السمحة .

وهذه الحكومة الصغيرة التى انشأها الرسول وأصحابه من المهاجرين والانصار فى المدينة ، تشبه فى تكوينها واهدافها وحتى أساليبها ما جرى وما يجرى الآن فى البلدان الخاضعة لنير الاستعمار ، المبتلاة باحتلاله وتسلطه عليها حين يقوم الشعب المضطهد بالثورة المسلحة ضد المستعمرين ويؤسس فى المناطق التى ينتزعها من أيديهم ادارات أو حكومة وطنية متحررة تتولى مسئولية مواصلة الثورة ، واستمرار النضال الى أن يتم لها النصر النهائى وتحقيق السيادة الوطنية والاستقلال .

كانت حركة التآخى بين المهاجرين والانصار التى بدأها الرسول فور وصوله المدينة أول اجراء أقدم عليه محمد صلى الله عليه وسلم لاقامة حكومته الاولى هناك . فقد كانت وحدة الأوس والخزرج ومن انضم اليهم من المسلمين المهاجرين تمثل القاعدة المتينة التى مكنت الرسول من تنفيذ خطته الرامية الى استقلال المدينة والاجزاء التابعة لها عن بقية أرض الحجاز ، وانشاء حكومة اسلامية فى ذلك الجزء المستقل .

ولقد كان الرسول ذاته يمثل رأس تلك الحكومة الذى يمسك بزمام الزعامة الدينية والدنيوية فى وقت واحد ، وكانت الآيات القرآنية وما أضيف اليها من أوامر النبى ونواهيه تمثل دستور تلك الحكومة ، كما كانت الشورى أساسا لنظام الحكم الذى تستند اليه .

فالرسول هو مصدر التشريع بما يذيعه بين قومه من محكم الكتاب ، وواضح الحديث ، وأعمال التطبيق وهو فى الوقت ذاته يمثل السلطة التنفيذية ، اذ يوجه أمور المسلمين ويدير شؤونهم فيما يختص بأصول دينهم وأسس معاملاتهم ، يحلل لهم ما أحله الله ، ويحرم عليهم ما حرمه ، ويرشدهم الى طريق الصواب فى كل أمر يمس دينهم ودنياهم .

وهو فضلا عن ذلك كان يمثل القائد العام للجيش الاسلامى يدفعه الى المغازى والمسيرات ، ويناجز به الخصوم ، ويدخل معهم غمرات الحروب فى الوقت الذى كان هو نفسه يعقد المعاهدات والاتفاقات مع غير المسلمين ان هم كفوا عن التعرض للدين الجديد ، وعن الحاق الاذى به وبمعتنقيه .

والى جانب هذا وذاك كان الرسول يأمر بجباية الاموال والصدقات ، وتوزيعها على من هم جديرون بها ، وتقويم أود الدولة عن طريق بيت المال الذى انشأه والذى يمثل خزينة الدولة أو وزارة المالية فى النظم الحكومية الحديثة .

ورغم حداثة الحكومة الإسلامية الاولى فانها لم تجابه من المعضلات ما كان يستعصي عليها حله ، ولم تتعرض لأية هزات اقتصادية كانت أم اجتماعية أم سياسية ، مما تتعرض له الحكومات الحديثة النشأة عادة .

وسبب ذلك يعود الى العرب — حتى بعد أن سطعت عليهم انوار الاسلام ، وتشربت نفوسهم بمبادئه ، ظلوا يعيشون في نطاق ما ورثوه من تقاليد طبيعية ، وما اعتادوه من عادات فطرية أخذ الاسلام يهذبها يوما بعد آخر فيبطل الطالح منها ، ويبقى على الصالح المفيد .

ومع ذلك فقد قامت الحكومة الاسلامية الاولى على اسس جديدة لم يعهدها المجتمع العربى من قبل ، لأن الحكام العرب فى عهود جاهليتهم كانوا قد اهملوا شأنها ، وامعنوا فى العدوان عليها ، اسس متينة لا تنال منها الاحداث صريحة صالحة لكل امة من الأمم ، ملائمة لكل زمان ، مواكبة لكل تطور وتجدد .

□□□

كان العدل أول الاسس التى قامت عليها حكومة المدينة المنورة . وكان العدل من بين ما أمر الله المسلمين بتطبيقه ، والالتزام به . فقد كرر الله تعالى الحديث عن العدل فى عدة آيات من كتابه المجيد منها قوله : « اعدلوا هو اقرب للتقوى » . ومنها « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقوله « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » ومنها قول الرسول فى بعض أحاديثه « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده » .

وكانت الوحدة بين المسلمين من القواعد الاساسية التى ارتكزت عليها حكومة المسلمين الاولى . ذلك ان القرآن ما فتىء يحث على الوحدة ، ونبذ الفرقة فى العديد من آياته الكريمة فقد قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

وقال أيضا « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال أيضا مخاطبا رسوله الكريم فى موضوع الوحدة « لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

وتؤلف **المساواة** بين افراد المجتمع الاسلامى ركيزة أخرى من الركائز القوية التى بنيت عليها حكومة الرسول فى المدينة .
وقد قصد بهذه المساواة التساوى بين جميع المسلمين فى الحقوق والواجبات والاخذ والعطاء لا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين كبير وصغير ، ولا بين رجل وامرأة ، ذلك ان المساواة كانت من المبادىء الاساسية التى أقرها الله وحث على تحقيقها فى محكم كتابه العزيز فقال جل من قائل « انما المؤمنون اخوة » وقال أيضا « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .
وقال النبى الكريم « المسلمون سواسية كأسنان المشط » « المسلمون

تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وتمثل الشورى صفة النظـــام الذى اتخذته الحكومة الاســـلامية مبدأ ودستورا لها .

فقد كان الحكم فى المدينة شوريا اى ان رئيس الحكومة ـــ وهو الرسول نفسه ـــ ما كان ليقدم على عمل من الاعمال ، او يقر قرارا الا بعد ان يستشير اهل الراى من قومه فيما عسى أن يفعله ، وماذا ينبغى أن يقرره بشأن الحاجات المعارضة والحوادث المستجدة .

ونظام الشورى هذا كان يمثل اعلى مراتب الديمقراطية الشـــعبية ، ولم تصل اليه الانسانيه حتى الان رغم ما بذلته فى سبيل ذلك من تضحيات جسام ، وما بلغته من تقدم وتطور .

لقد امر الله رســـوله ان يأخذ بالشورى فى احـــكامه واعمـــاله فقال : « وشاورهم فى الامر » . واثنى الله فى القرآن ايضـــا على المؤمنين الذين يلتزمون هذا المبدأ السامى فقال عنهم : « وأمرهم شورى بينهم » .

وكان التعاون هو الآخر اســـاسا متينا من اسس الحكومة الاســـلامية الاولى ، وقد أورد القرآن الكريم عدة آيات يحث بها على التعاون بين الناس ، وتعاضدهم فيما يجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الضر ، ويحفظ كيان مجتمعهم من التجزئة والانقسام . فقال تعالى فى كتابه المجيد « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

□□□

كانت بساطة هذه الاسس التي قامت عليها حكومة المدينة المنورة ، وضيق النطاق الذى وجدت فيه هذه الحكومة أول الامر ، من العوامل التى أدت الى أن يعهد الى الرسول صلى الله عليه وسلم وحده تدبير هذه الحكومة ، ورعاية كل شأن من شئونها بصفة مباشرة .

وكانت طاعة المسلمين لأوامر ربهم وأوامر نبيه الكريم ، وجهادهم فى سبيل الدين الجديد ، واقتدائهم بالرسول فى أقواله وأفعاله ، من العوامل التى ساعدت الرسول على النهوض بادارة تلك الحكومة ، وتوطيد أركانها فيما بعد ، لتصبح أعظم حكومة فى الدنيا قاطبة تشرف على ادارة امبراطورية ما عرف التاريخ لها مثيلا .

كانت وظائف الحكومة المحمدية فى المدينة قليلة . وكانت هذه الوظائف ، والولايات ، تكاد تقتصر على قيادة الجيش واقامة الصلاة ونشر التعليم ، وجمع الصدقات والضرائب التى فرضها القرآن وتوزيعها ، وتشريع الاحكام وتنفيذها .

كان الرسول هو الذى يدعو المسلمين الى الجهـــاد فى سبيل الله ، وهو الذى ينظمهم فى شكل سرايا أو جيوش يبعث بها لمحاربة المشركين . كما كان يقود هذه الجيوش كما حدث ذلك فى غزوتى (بدر) و (أحد) وغيرهما .

ومما تجدر الاشارة اليه فى موضوع الجيش انه لم يكن للمسلمين جيش خاص على غرار ما هو معروف عنه الآن . فقد كان الجهـــاد فرضا على كل مسلم ومسلمة قادرين عليه ، وكان جميع المسلمين يعتبرون مجنـــدين بصفة

الزامية لا سبيل الى التملص من هذا التجنيد الالزامى الا لمن أقعده المرض ، أو الضعف ، أو النفقة .

وما يختص بالصلاة والتعليم كان الرسول هو الذى يؤم المسلمين عند الصلاة فى مساجد المدينة وكان يعلمهم حيثما التقى بهم أمور دينهم ، ويحثهم على تعلم القراءة والكتابة ويحض من يعرفونهما على تعليمهما للغير .

حتى اذا ما اتسعت رقعة الحكومة الاسلامية ، ودانت لها الامصار النائية شرع الرسول يبعث بمندوبين عنه الى سكان تلك الامصار ، يعلمونهم أحكام دينهم كما يعلمونهم القراءة والكتابة أيضا .

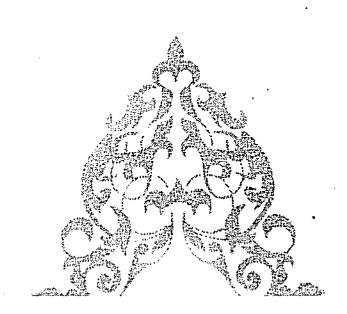
أما جباية الاموال — وكانت تتألف من الجزية والصدقة والزكاة وبدل الفداء — فقد كان الرسول ينتدب لهذه المهمة بعضا من أصحابه الذين يعرفون أمور الجباية ، يجمعونها من المفروضة عليهم شرعا ، ثم يؤتون بها الرسول ليوزعها دونما تأخير فى وجوهها المشروعة ، وطبقا لما ورد فى القرآن الكريم « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره الرسول الذى اختاره الله ليبلغ رسالته الى أهل الارض ، ويهديهم الى سواء السبيل ، هو الشخصية المفردة التى أوكل اليها وحدها أمر التشريع وأمر القضاء معتمدا فى ذلك على ما ورد فى القرآن المجيد وما استنبطه نفسه من أحكام نابعة من مصالح الناس .

□□□

لقد كانت حكومة المدينة المنورة الاساس القويم للحكم الاسلامى المثالى الصالح الذى يعد من خيرة النظم التى عرفتها البشرية فى كل أدوار تاريخها ، ولذلك كان الحكم الاسلامى بوفرة من الصلاح والهداية والسعادة للبشر أجمعين .

ولو تمسك العرب والمسلمون بالاسس التى قامت عليها حكومة المدينة المنورة وحرصوا على تطبيق المبادىء التى طبقتها ، لما تمزقت وحدتهم الشاملة ، وتفرقت أوطانهم المتحدة ، وخيم عليهم الذل والعار ، واستباح العدو المغتصب حرمة بلادهم وأموالهم ونفوسهم ، ولما ظلوا حتى هذه اللحظة وعلى وفرة عددهم وعددهم متفرقين متخاذلين لا يقدرون على رد العدوان المشين الذى نزل بهم على أيدى عصابة اسرائيل التى لا يزيد عدد أفرادها عن واحد من ثلثمائة وثمانية على اعتبار أن مجموع عدد المسلمين فى الوقت الحاضر يبلغ ستمائة وستة عشر مليون نسمة وكل سكان اسرائيل ، بما فيهم العرب الخاضعين للاحتلال لا يزيد عن مليونين .



«بقية» استدراكات

وذكرت الموسوعة أن أمير البيان ألف كتابا عن ابن خلدون ، وهذا غير صحيح ، وانما الصحيح أن أمير البيان كتب تعليقات على كتاب بن خلدون فى التاريخ وهو المسمى : (كتاب العبر ، وديوان المبتدأ و الخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) وقد صدرت منه ثلاثة اجزاء فقط .

وقالت الموسوعة عن شكيب : (من أهم مؤلفاته تعليقاته الوفيرة على كتاب (حاضر الاسلام) الذى ألفه المستشرق الأمريكى (ستودارد وترجمه نويهض) . ولى على هذه الجملة أكثر من ملاحظة ، فقد أخطأت الموسوعة فى اسم الكتاب ، وصحته (حاضر العالم الاسلامى) ، وهو أشهر من نار على علم ، كما قال القدماء .. فكيف يخفى على علماء الموسوعة ؟

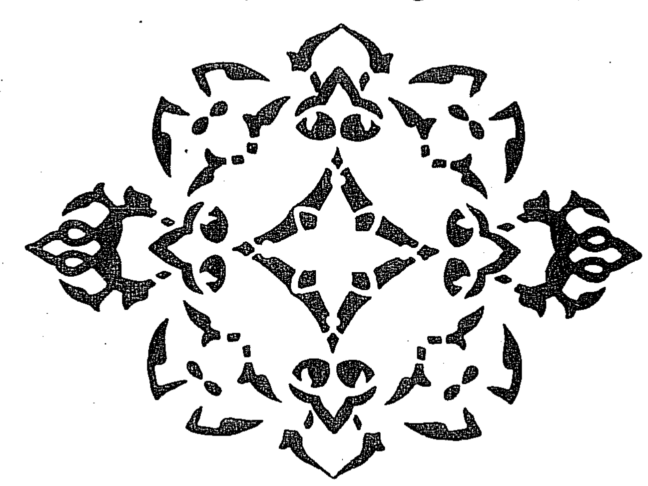
وقد يذهب ذاهب الى احدى دور الكتب ويقضى الوقت الطويل فى البحث عن هذا الكتاب ستودارد) وكذلك كلمة (نويهض) لا تكفى فى التعريف باسم المترجم وهو الأديب الفلسطينى البحاثة الأستاذ عجاج نويهض .

وذكرت الموسوعة من كتب شكيب كتابا سمته :.(غزوات العرب فى شمال فرنسا) وصحة الاسم : (تاريخ غزوات العرب فى فرنسة وسويسرة وايطاليـة وجزائر البحر الأبيض المتوسط) .

وذكرت الموسوعة عن شكيب أنـه ألف دراسـة عن (أناتول فرانس) . والصحيح أن أمير البيان قد ترجم كتاب (أناتول فرانس فى مباذله) ، وهو من تأليف (جان جاك روسو) ، والكتاب يدور حول مذكرات للـكاتب الفرنسى المشهور أناتول فرانس وقد ترجمه شكيب سنة ١٩٢٥ وقدم له وعلق عليه .

وقالت الموسوعة عن شكيب : (ألف حول الشعر الجاهلى وقضية انتحاله) والصحيح أن شكيبا لم يؤلف فى هذا الموضوع ، وانما كتب مقدمة لكتاب عنوانه : (النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى) وهو من تأليف الأستاذ محمد أحمـد الغمراوى ، وقد تحدث فيها شكيب بتوسع عن دعوى انتحال الشعر الجاهلى .

كل هذه الملاحظات مع الأسف ــ فى ترجمة قصيرة لا تتجاوز ربع صفحة من صفحات الموسوعة العربية الميسرة ، ونأمل أن يتدارك المسئولون عنهـا هـذه المآخذ عند اعادة طبعها ليطمئن الى مادتها من يراجعها .



لبيك ملء فمي لبيك ملء دمي

في أرض النبوّة

صوت من العالم العلوى نادانى … لبيك لبيك لا آل ولا وانى

ما أعذب الصوت، ما أشجاه من نغم … سمعته بفؤادى لا بآذانى

وكيف تسمعه اذن ويحمله … موج الأثير حروفا وهو روحانى ؟

لبيته بفؤاد ملؤه وجل … وصيب من دموع العين هتان

كيف الوقوف على باب الرسول وفى … يدى صحائف زلاتى وعصيانى ؟

دار النبوة ذنبى عنك أبعدنى … وحسن ظنى بربى منك أدنانى

لم يدر قدرك من فى ذات أجنحة … أتى يزورك أوفى ذات سكان(1)

هلا أتيتك سيارا على قدمى … أو طار من حر شوقى بى جناحان

ما غبت عنى وان لم يمتلىء بصرى … من أهلك الصيد أو من ربعك الفانى

قد كنت ألقاك فى لوحى وفى كتبى … وفى سطور أحاديثى وقرآنى

ما زلت رسما جميلا فى مخيلتى … حتى كأنا التقينا منذ أزمان

كأننى لست ضيفا عند أهلك بل … هم فى ربوعهم الفيحاء ضيفانى

وما طربت للحن ليس يذكر لى … ما فيك من علم أو فيك من بان

الله يعلم كم حركت فى خلدى … من ذكريات وكم هيجت اشجانى

كم فى دروبك من درب أصخت له … كأنه بحديث الأمس ناجانى

لى فى صعيدك أفواه وألسنة … بقدر ما فيه من رمل وكثبان

يا جيرة الحرمين الآمنين لكم … أهدى التحية من روح وريحان

الله أورثكم مجدا يقر به … قبل الحبيب لسان الحاسد الشانى

والله شرف مغناكم وشرفكم … خير البقاع أقلت خير سكان

ما للشراب وردنا ماء زمزمكم … بل للطهارة من رجس وأدران

بالله لا تترعوا من مائها قدحى … بل فاغمروا جسدى منها بطوفان

هنا مفاتيح أغلاق السماء هنا … باب الوصول الى جنات رضوان

---

(1) الطائرة والسفينة .

(قطعة من روح الشاعر الصافية وهو يستعد لأداء فريضة الحج ولئن حالت حوائل دون تأدية الفريضة ، فليس ثمة ما يحول دون نشر هذه القصيدة الأصيلة ننشرها كلها : مناجاة ، وضراعة ، وعبادة ، وصفاء . تملأ القلوب بالخشوع ، والعيون بالدموع . وتجرى على الألسنة نداء ودعاء : لبيك ملء فمى لبيك ملء دمى)

للاستاذ : محمود غنيم

هنا بنى المصلح الأمى جامعة ... على أساسين من علم وعرفان

على قواعد من هدى النبوة لا ... على قواعد من صخر وصفوان

وكيف لا ورسول الله منشئها ؟ ... جل البناء وجل المنشىء البانى

ما كان طلابها الا شراذم من ... رعاة أبل ومن عباد أوثان

ربى العتيق أبا بكر بها وأبا ... حفص وربى عليا وابن عفان

طلابها فى ربوع العالم انتشروا ... مبشرين باصلاح وعمران

وسمحة من سماء الله منزلة ... ومحكم من كلام الله ربانى

فيها تخرج سواس البرية من ... أدنى المحيط الى أقصى خراسان

ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب فما ... أحس شعب بجور أو بطغيان

سماحة عرف الدين الحنيف بها ... ما فرقت بين ألوان وأديان

من كل مسعر حرب يوم معركة ... وكل نابغة فذ وفنان

أجلهم كل ذى علم وفلسفة ... وهابهم كل ذى جاه وسلطان

الله أكبر . كانت سر قوتهم ... على الجبابر من فرس ورومان

شاد البداة حضارات بها وبها ... ثلوا عروشا وسلوا در تيجان

لا حصن قيصر أغنى عند زحفهمو ... ولا احتمى منهمو كسرى بايوان

والأمر لله دار الدهر دورته ... فأصبح القوم شاة بين ذؤبان

قد جال فى أمسهم فكرى فأضحكنى ... وجال فى يومهم فكرى فأبكانى

يا ويح قومى نسوا الله الكبير فلم ... يذكرهم الله . نسيان بنسيان

يا رب شعبك يشكو ما أحاط به ... من الخطوب فأدرك شعبك العانى

أدرك بلطفك شعبا غط فى وسن ... على تخوم عدو غير وسنان

يا رب قد عشت فى دنياى مغتربا ... ويلاه ان اغتربت فى العالم الثانى

حاشاك يا رب فى أخراى تحرمنى ... يا رب حسبى فى دنياى حرمانى

استغفر الله من كفران نعمته ... بل فوق ما أستحق الله أعطانى

ألم يجدنى أخا غى فأرشدنى ؟ ... وهائما غير ذى مأوى فآوانى ؟

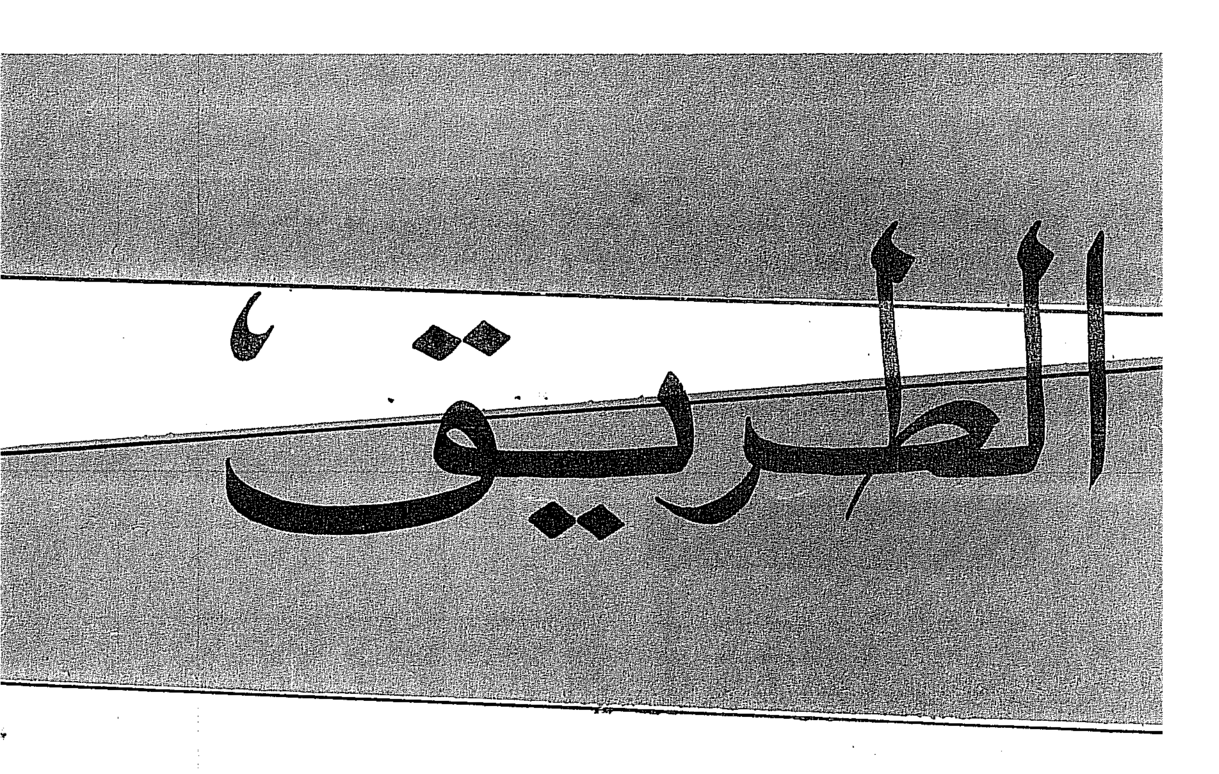
ألم يجدنى أخا جهل فعلمنى ؟ ... وعائلا غير ذى وجد فأغنانى ؟

وما البكاء على الدنيا وزخرفها ؟ ... شاهت ولو أنها دنيا سليمان

وما أبالى بما فى الكون أجمعه ... ان صح منه الرضا عنى وأرضانى

لبيك ملء فمى لبيك ملء دمى ... لبيك يا رب من قلبى ووجدانى

اليك شعت من ترجى شفاعته ... يا رب ان خف يوم الحشر ميزانى



هاتوا من الدين ما كنا ورثناه … وامضوا الى الحق فيما أنزل الله
ماذا عن الحق ؟ قد قالها الزمان بنا … حتى نسينا ، فضل الرب مسعاه
فيمموا سبل التوفيق وانطلقوا … حتى نرى الركب باسم الله مجراه

ماذا نقول اذا ما الحق طالبنا … ـ عند الحساب ـ بحق قد اضعناه
الناس للحق قد باعوا نفوسهم … ونحن باللهو والتضليل بعناه

يا أيها المسلم الناسي رسالته … هل ضقت بالحق حتى رحت تنساه
أم خفت في الحق ان مارسته عنتا … تلقاه من معشر أعماهم الله

قد كان (احمد) يؤذى في رسالته … حتى الملائك ناجت فيه مولاه
اذ يهتفون : الهي !! رد كيدهم … عمن بعثت فان الكيد اعياه
فيسكب الحق وحيا في مسامعهم … ان كان يطلب معوانا نصرناه
فيهمسون اليه ، وهو مستتر … خلف الجدار ووقع الرجم ادماه
اشك الظلوم فان الله منتقم … ممن رموك فلم ينطق بشكواه

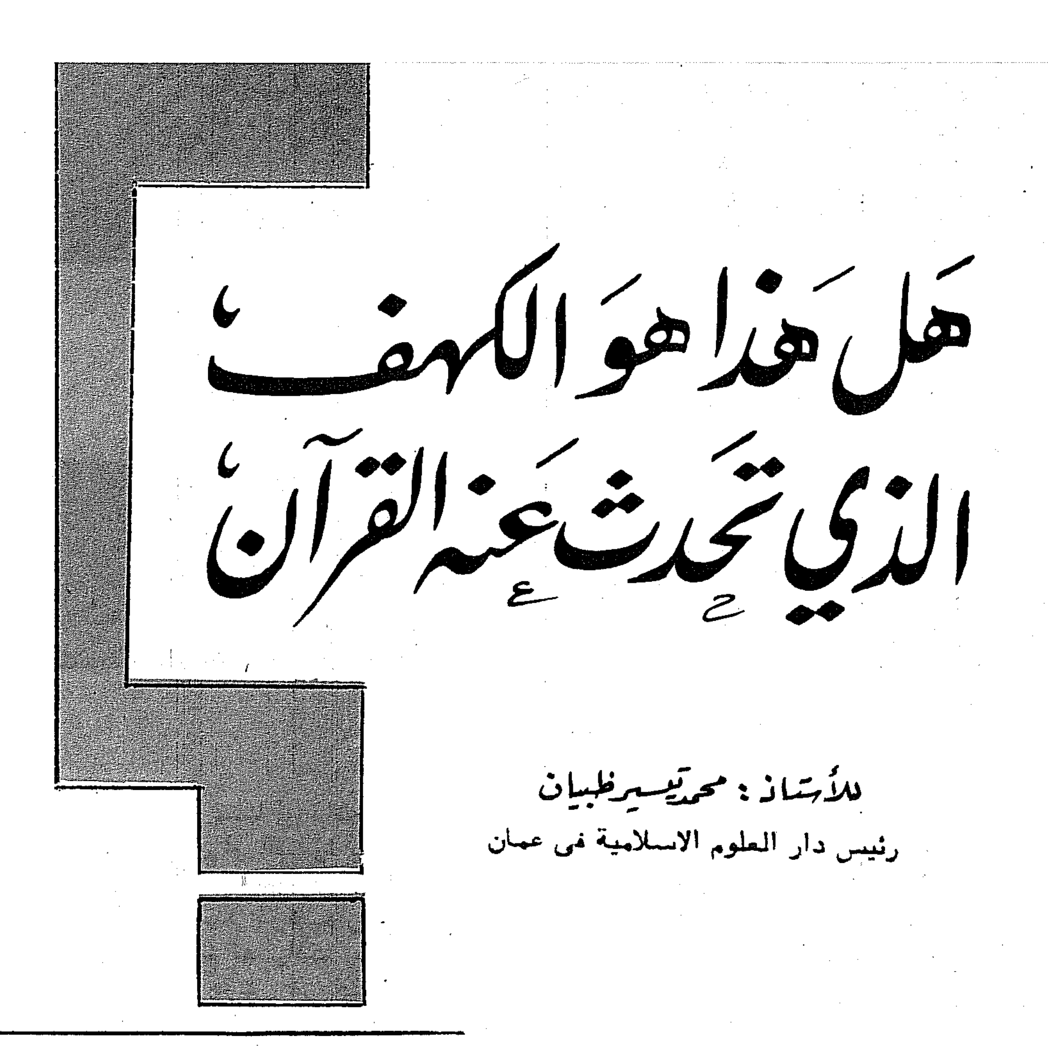
كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرف الطريق الى النصر ، كان يعرف الايمان فلا يتزحزح عنه ، وكان لا يخشى البلوى فلا يشكو منها وكان لا يغره النصر فيظلم الناس .

للأستاذ محمد التهامي

وذاق في الحق ما لو ذاقه جبل ... لاندك حتى استوى في الأرض أعلاه
لا يترك الحق لو ألقوا بميمنه ... شمس الضحى وأحلوا البدر يسراه
قالوا : لك الجاه والأموال قال لهم ... لا المال يعدل ايماني ولا الجاه
ان كان مالكم قد غركم زمنا ... فالمال لله أعطاه واحصاه
أو كان جاهكم قد زادكم عنتا ... فصاحب الجاه يا قومي هو الله
وكل صاحب عرش عز جانبه ... فالله سيده والله مولاه

حتى اذا جاء نصر الله وازدهرت ... بالفتح « مكة » وازدانت لتلقاه
وطاف بالبيت فاهتزت قواعده ... وبادر « الركن » للمختار حياه
ونادت الكعبة الأصنام فارتعشت ... وزال شيطانها ما كان أغواه
وقالت « اللات » « للعزى » دنا أجلي ... فنكس الراس هذا ما خشيناه
وسيق للمصطفى من كان عذبه ... من أهله وغدوا في القيد أسراه
تذكر المصطفى ما كان في أحد ... فعاده الحزن وانضمت ثناياه
وكشر الليث فارتاعت فريسته ... وأيقن الكل أن اليوم منعاه
فأطرق المصطفى حينا وعاودهم ... قد بدل الحزن بشرا في محياه
وجاء بالعفو عفو القادر اكتملت ... فيه الشجاعة لما ذل أعداه

من ذا يعيد الينا بعض سيرته . ... هل من قليل لدينا من سجاياه
ان كان . فالنصر يسعى في مواكبنا ... والسعد والمجد والتوفيق والجاه

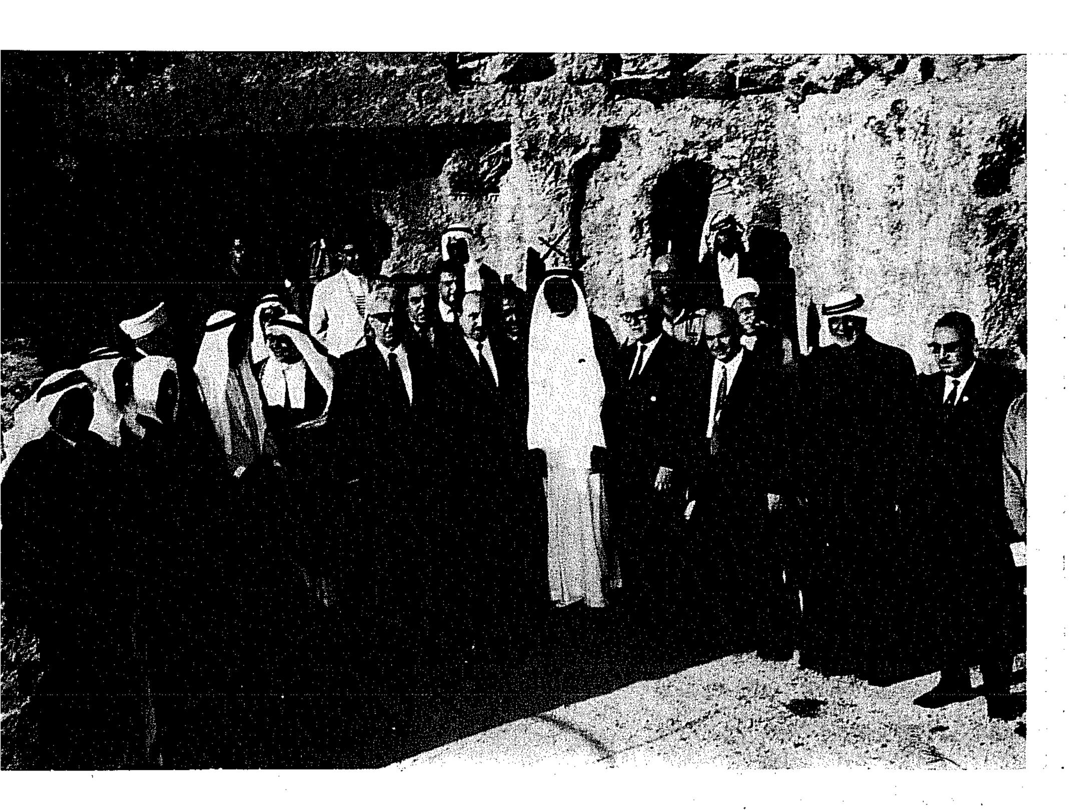


هل هذا هو الكهف الذي تحدث عنه القرآن ؟

للأستاذ : محمد تيسير ظبيان
رئيس دار العلوم الاسلامية فى عمان

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا »

قصة أصحاب الكهف من القصص المثيرة التى تنطوى على اسمى الفضائل الانسانية من صلابة فى العقيدة ، وثبات على المبدا ، ورسوخ فى الايمان ، ومكافحة للطغيان ، واجتواء لعبادة الأوثان ، وهى تعتبر من المعجزات الإلهية الخارقة للعادة ، وقد ورد ذكرها فى سورة كاملة فى القرآن الكريم عرفت باسم سورة الكهف وجاء فى الروايات الاسلامية : أن النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة ابن أبى معيط انقذتهما قريش الى احبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وخبراهم بقوله ، فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا احبار اليهود عن النبى (صلى الله عليه وسلم) وقالا لهم ما قالت قريش ، فقال لهما أحبار اليهود : اسألوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رايكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول . ما كان امرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟



صورة كهف الرقيم وقد ظهرت واجهته الامامية وأمام بابه وقف أعضاء وفد رابطة العالم الاسلامى لدى زيارتهم لهذا الموقع الشريف يتوسطهم الشيخ محمد سرور الصبان والى يمينه السيد رفيق الدجانى مساعد مدير دائرة الآثار والى يمينه كاتب هذا المقال والسفير السعودى فى عمان ، ويلاحظ القارىء بعض النقوش البيزنطية فوق الجدران .

فانصرفا الى مكة ، فقالا : يا معاشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، وقصا عليهم القصة فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه ، فقال : اخبركم بما سألتم عنه غدا ، ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله اليه فى ذلك وحيا ، حتى أرجف أهل مكة ، وتكلموا فى ذلك فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاء جبريل عليه السلام عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عنه عن أمر الفتية والأمور الأخرى (١) .

موقع الكهف :

وقد تضاربت آراء المفسرين والمؤرخين فى تحديد موقع (الكهف) المذكور فذكر بعضهم أنه فى اسبانيا أو اسكاندينافيا أو اليمن ، وذهب أكثرهم الى أنه فى أفسوس الواقعة فى غرب الأناضول (تركيا) وذهب آخرون الى أنه فى مكان يدعى الرقيم فى البلقاء بالقرب من عمان ، وقد أيد هذا

(١) ذكر المفسرون هذا على أنه سبب نزول السورة .

الرأى بعض المستشرقين أمثـــال (المسيو كليمانت غانو) قنصل فرنسا العـــام فى القـــدس ، أيـــام العهد التركى ، فقد زار الكهف عام ١٨٦٨ ووافق عـــلى أنه هو بالذات الكهف الوارد ذكره فى القــرآن الكريـــم والمصادر المسيحية .

على أن الروايـــات الكثيرة التى كانت تتداولها السنة بعض القاطنين فى القرى القريبة من عمان عن وجود هـــذا الكهف بجوارهم حملت دائرة الآثـــار الأردنيـــة على اجراء بعض الحفريات فى المكان الذى كان يشير اليه هؤلاء الرواة ، وقد اسفرت هذه الحفريات عن اكتشـــاف هذا الموقع التـــاريخى العظيم بالاضـــافة الى الدراســـات التى قـــام بهـــا بعض الاخصائيين فى علم الآثار من اردنيين واجانب كما سيأتى .

خلاصة القصة :

وخلاصة هـــذه القصة كما ترويها المصـــادر المسيحية ونقلتها عنها المصـــادر الاسلامية أن بعض الفتية من العائلات الرومية العريقة وعددهم ثمانية (كما تقول المصادر السريانية) وسبعة (حسب الروايات اليونانية واللاتينية) كانوا يعتنقون الديـــانة النصرانيـــة فى زمن احـــد الحكام البيزنطيين (الطغاة) ويدعى داقيوس (ولكن الاكتشافات الأخيرة ترجح أن يكون ذلك الحاكم هو الملك تراجان الذى حكم بين سنة ٩٨ و ١١٧ بعد الميلاد كما اكد لى احد كبار موظفى دائرة الآثار) .

وقد انصرف هؤلاء الفتية الى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد ، ورفضوا السجود للأوثان التى كان يدعو اليها الملك الطاغية السالف الذكر ، وكان يأمر سكان المدن والقرى بعبادة هذه الأوثان ، وتقديم الأضحيات اليها ، ويعاقب بصرامة كل من يتخلف عن هـــذه العبـــادة ، ويهدده بالقتـــل والتعـــذيب (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) . وقد وشى عيون الملك وجواسيسه بهؤلاء الفتيـــان ، واخبروه بأنهم يعكفون على عبـــادة إلههـــم سرا فى أمكنـــة خاصـــة ، فاستدعاهم وهددهم ثم خيرهم بين الاقلاع عن هذه العبادة ، والانصراف الى عبادة الأوثـــان ، أو يعرضون انفسهم للقتل ، وامهلهم اياما قليلة ، كى يثوبوا الى تعليماته ، فعقـــدوا الخناصر على الفرار ، وانطلقوا من المدينـــة التى كانوا يقيمون فيها الى كهف قريب منها ، وصحبهم راع ومعه كلب على دينهم ، ولبثوا فى الكهف يعبدون الله على دين المسيح (عليه السلام) واسلموا أمرهم الى الله ، لينقـــذهم من بطش ذلك الجبـــار .

ويظهـــر ان الملك المذكور استبطـــأ عودتهم اليه ، فاتصل بأوليـــائهم ، وهددهم بالقتـــل ان لم يرشدوه الى المكان الذى التجأوا اليه ، فساروا معه الى ذلك المكان فلما وصل اليه كانوا قد استسلموا للرقاد بمشيئة الله ، فأمر بأن يسد عليهم باب الكهف كى يموتوا جوعا وعطشا .

« وتحسبهم ايقـــاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيـــه بالوصيد لو اطلعت عليهـــم لوليت منهـــم فرارا ولملئت منهم رعبا » .

ولبثوا فى الكهف ثلثمائة سنة وهم غارقون فى نوم عميق ، ولا يجرؤ احد على الاقتراب من ذلك المكان . وبعد مضى هـــذه المدة على نومهم افاقوا بإرادة الله ، وهم لا يعلمون أنهـــم أمضوا تلك الحقبة الطويلة فى ذلك السبات الطـــويل الذى اراد الله ان يجعله آية لاثبات ربوبيته وقدرته .

وبرهانا على وقوع البعث (ولبثوا في كهفهم ثلاثمــائة سنة وازدادوا تسعا) .

وكانت يقظتهم فى عهد ملك صالح يدعى (ثيودوسيوس) وكان الخلاف فى ذلك الحين قائما على قدم وساق بينه وبين بعض أفراد رعيته حول البعث ، وقيــام الساعة ، فاقتضت مشيئته تعــالى ان يفيقوا ، وتظهر معجزتهم فى زمنه ليدعموا فكرته .

ولما انتبهوا من نومهم توهموا أن نومهم هذا لم يستغرق أكثر من يوم او ســاعــات معــدودة ، فأحسوا الجوع ، وارسلوا احدهم متنكرا الى المدينة ، ويدعى يمليخا ليبتــاع لهم طعاما « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ، قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينــة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا » .

وما كاد يبلغ المدينة حتى لاحظ أن مظاهرها قد تغيرت ، وأن هنــاك اختلافــا كبيرا فى البسة النــاس وحركاتهم ، وطرق عبادتهم ، اذ كانوا يذكرون اسم المسيح كثيرا ، ولما تقدم الى الخبــاز بعض النقود التى كان يحملها ليشترى بها بعض الأرغفة ؛ وجم الخباز ، واسترعت انتباهه تلك النقود الغريبة ، التى كانت تختلف كثيرا عن النقود المتداولة آنئذ ، فأنبأ بذلك جيرانه ، ثم انتشر النبــأ فى المدينة وراجت شائعات بأن هــذا الفتى قد عثر على كنز ، فقبض عليه رجال الشرطة ، وساقوه الى الملك الصالح (ثيودوسيوس) فوجه اليه اسئلة أدرك من اجوبته عليها أنه احد اولئك الفتيان الذين غادروا المدينة ، فرارا من بطش الحــاكم الطاغية ، وكانت قصتهم تتداولها الألســنة .

وعلم الملك أن الله (جلت قدرته) أراد أن يبعثهم بعــد نومهم للتدليل على قدرته وتــأييد وجهة نظر الملك فى البعث والنشور . فسار الملك مع فريق من أهل المدينة الى ذلك الموقع ، فلما رآه الفتية (وكان يمليخا قــد سبقهم واخبرهم بمــا وقع) فرحوا وخروا لله ساجدين .

ثم انهم قالوا للملك نستودعك الله ونقرىء عليك السلام ، وندعو الله كى يحفظك من شر الجن والأنس ، ثم عادوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله ارواحهم . فسجد الملك شكرا لله وأمر بأن يبنى على الكهف صومعة يصلى فيها وجعل لهم عيدا عظيما : (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الســاعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبــوا على امرهم لنتخــذن عليهم مسجدا) .

نتائج عمليات الحفر :

وقد بدأت عمليات الحفر والكشف عن معالم هذا المكان العريق عــام ١٩٦٣ على اثر الزيارة الأولى للمكان التى قــام بها مدير الآثــار المرحوم الدكتور عونى الدجانى ، ومساعده الادارى الأستاذ محمود العابدى ، ومســاعده الفنى الأســتاذ رفيــق الدجانى(٢) ، وكاتب هذه السطور ممثلا عن رابطــة العلوم الاسلامية التى كانت اول من لفت أنظار دائرة الآثار الى هذا المكان .

(٢) للاستاذ رفيق بحث مطول عن أهل الكهف طبعه فى كتاب ذكر فيه كل ما يتصل بهــذا الموضوع وهو دراسة فنية وتاريخية لها قيمتها فى هذه الناحية .

وقد أسفرت هذه الحفريات عن دلائل ساطعة ، ونتائج باهرة اعتبرتها دائرة الآثار من القرائن التى يمكن الاعتماد عليها فى اثبات صحة وجود كهف أصحاب الكهف الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم فى ذلك الموقع بالذات . والى القراء بعض هذه القرائن :

١ — ان النقوش التى وجدت على الأحجار الضخمة التى اقيمت فى الجهة الجنوبية من الكهف هى نقوش بيزنطية مما يتفق مع الروايات التى ذكرت انهم ظهروا فى عهد البيزنطيين ، وكذلك النقوش التى ظهرت فى سقف الكهف ، وفى جدرانه . فان تاريخها يرجع الى القرن الأول والثانى بعد الميلاد أى فى عصر البيزنطيين .

٢ — عثر بعد إزالة الأتربة والأحجار التى كانت تغمر أرض الكهف على ستة نواويس حجرية مملوءة بالعظام والجماجم البشرية ، وضريحين آخرين ، وهذا يطابق عددهم الذى ذكر فى معظم الروايات المسيحية والاسلامية ، ويتفق مع الآية الكريمة : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم » .

وقد رجح أكثر المفسرين العدد الأخير : أى سبعة وثامنهم كلبهم .

٣ — يقع الكهف فى مكان منعزل بعيد عن الطرق الرئيسية التى تصل الى المدينة . مما يدل على أن اختيارهم لهذا الكهف بالذات كان بقصد التفرغ للعبادة والتوارى عن الأنظار .

٤ — كشفت الحفريات عن انقاض مسجد قديم أمام الكهف أقيم فى عهد الأمويين ، كما عثر على مسجد آخر فوق الكهف أقيم على أنقاض معبد قديم . مما يدل على أن المسلمين حولوا المعبد الذى أنشىء فى عهد البيزنطيين الى مسجد .

٥ — عثر على كوة داخل الكهف أشبه بنفق صغير يمتد الى أرض الصومعة التى أقيمت فوق الكهف . ويظهر أن أصحاب الكهف كانوا يختبئون فيها أو يتصلون مع اقاربهم وذويهم بواسطتها .

وقد اشار الأمير اسامة بن منقذ (وهو من قواد السلطان صلاح الدين ابن ايوب) فى كتابه (الاعتبار) الى هذا الكهف . وأدائه الصلاة عنده . وتحدث عن تلك الفجوة وكيف كان جنوده يحاولون اجتيازها .

٦ — ان المكان الذى يقع فيه هذا الكهف تنطبق عليه تماما الآية الكريمة (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه) ويلاحظ أن أشعة الشمس عندما تشرق لا تنفذ الى داخل الكهف وتنحرف عنه عند الغروب ، وذلك لحكمة إلهية (٢) .

٧ — ان القرية التى يقع فيها هذا الكهف تعرف باسم الرجيب ، وتدل الآثار على أنها هى الرقيم ، ومن عادة البدو فى هذه الديار أن يلفظوا الجيم كالقاف ، ويقلبوا الميم باء . وتقع على مقربة من الرقيم قرية تدعى الموقر ، وقد ورد ذكرهما فى شعر كثير عزة الذى يبشر فيه يزيد بن عبد الملك بالخلافة :

يزرن على تنائيه يزيدا
بأكناف الموقر والرقيم

وقد جاء ذكر الموقر والرقيم فى كتاب (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) .

٨ — ومن القرائن التى استشهد بها الأستاذ رفيق الدجانى مساعد

مدير الآثار الذى اشرف بنفسه على حفريات الكهف — أن المسافة التى ذكرها الثعالبى فى كتابه (قصص الأنبياء) تطابق المسافة بين عمان وكهف الرقيم ، وهى مسافة معقولة لمن اراد الهروب والاختفاء ، وأن تاريخ انشاء الصومعة التى اقيمت فوق الكهف يتفق مع الزمان الذى كتب فيه جيمس الساروغى عن أهل الكهف عام ٤٧٤م .

مقارنة بين الكهفين :

ومما هو جدير بالذكر أن دائرة الآثار لكى تطمئن الى صحة النتائج التى وصلت اليها وتستوفى البحث فى هذا الموضوع كتبت رسميا الى الحكومة التركية بواسطة سفارتها فى عمان ، وطلبت تزويدها بمعلومات وافية عن كهف (أفسس) الذى كانت تتجه اليه الأنظار فيما سبق ، فتلقت جوابا على كتابها ضمنته بعض المعلومات عن الكهف المذكور ، وهى تؤيد وجهة نظر دائرة الآثار الأردنية ، من صحة النتائج التى توصلت اليها فوق أن الأوصاف الموجودة فى كهف افسس لا تطابق بوجه من الوجوه الروايات الاسلامية ، وما ورد حولها فى القرآن الكريم ، ولا سيما فيما يتعلق بوجود معبد أو صومعة فوق الكهف ، ووضع باب الكهف بالنسبة لشروق الشمس وغروبها ، وعدم وجود أية نقوش بيزنطية أو اسلامية تدل على ان هذا الكهف (أى كهف افسس) هو الكهف المبحوث عنه .
وفوق كل ذى علم عليم .

---

(٣) زرت هذا المكان مع فضيلة الشيخ السائح وزير الاوقاف بالاردن بدعوة من الاستاذ كاتب المقال ، والاستاذ رفيق الدجانى مكتشف الكهف ، ومساعد مدير الآثار فى أوائل سبتمبر الماضى وكان الوقت عصرا .. ورأيت كل ما اشار اليه الكاتب داخل الكهف وخارجه ، ولكنى توقفت بين مفهوم الآية وما قاله المفسرون عنها بخصوص وضع باب الكهف .. وبين الوضع الذى رايته للكهف . فالمفسرون يرون ان الآية تؤدى الى أن الباب يتجه لناحية الشمال بحيث تكون الشمس حين تطلع عن يمينه وحين تغرب عن شماله ....
اما الوضع الحالى فالباب يفتح على الجنوب . وقد ذكرت هذا للسيد رفيق الدجانى ونحن امام الكهف . فقال ان الداخل للكهف يكون مشرق الشمس عن يمينه ومغربها عن يساره فاعتبر الشرق والغرب باعتبار الداخل لا باعتبار الذين فى الكهف . وذلك ليتفق وضع الكهف مع وصف الآية .. وقد رايت ان اضع هذا امام القارىء ليشترك معنا برايه .
(الوعى الاسلامى)

مع هذا العدد هدية (رسالة الحج)

(وفي العدد الآتى ذى الحجة : يصدر الفهرس العام للسنة)



هل هو تطوير أو مسخ ؟

تفضل سعادة الأخ العالم الاستاذ محمود شرشور سفير تونس فى الكويت فأهدانا بعض مطبوعات الدار التونسية ، ومنها محاضرة مطبوعة ألقاها الاستاذ عبد الوهاب بو جديبة فى جامعة الزيتونة احتفالا بليلة القدر سنة ١٣٨٥ هـ بحضور السيد/رئيس الجمهورية ، فالمحاضرة اذن قديمة . ولكنها لم تصل الى يدى الا هذه الأيام ، وموضوعها **« الضمير الدينى فى المجتمع الحديث »** .

وقد شدنى عنوانها هذا لقراءتها . . ذلك لأن فيه شبها بينه وبين عنوان كتاب صدر فى مصر سنة ١٩٥٩ لأحد العلماء . وكنت قد نشرت نقدا له حينذاك ادى الى مصادرة نسخه الموجودة فى المكتبات . ومنع طبعه حتى تحذف المآخذ التى لوحظت عليه . وان كان قد طبع بعد ذلك فى لبنان ، ورأيت نسخا منه فى مصر بعد تعديل خفيف !! لهذا اقبلت على قراءة المحاضرة . حتى ارى : ماذا قيل فيها عن الضمير الدينى ؟

وكان مما لوحظ على الكتاب السابق انه استهان بالعبادات اعتمادا على سلامة الضمير . . الخ وسرت فى قراءة المحاضرة التى تقوم على الدعوة للتجديد والتطور الدينى ، لم أتوقف عند شىء منها الا عند بعض نقط ارى من الضرورى الاشارة اليها هنا ، ولو ان المحاضرة قديمة .

جاء فى ص ١٨ ان الاسلام لا يعترف بالاختصاص فى الدين ، واستدل بالآية « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » مع أن الاسلام يعترف بالاختصاص فى الدين وفى كل شىء « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » والآية التى أوردها دليلا على وجهة نظره تفيد عكس ما يريد . .

ويعيب على ما سماه حركة التجديد المزعومة فيقول (فهذا مصلح لا يزال

يكتبها : عبد المنعم النمر

يتغنى بأبى داود أو الترمذى أو النسائى) . . ومعنى هـــذا عنده أنه لا يليق بمصلح دينى أن يجعل لهؤلاء وما رووه من أحاديث شأنا أى شأن !! وهذا يشير لنا الى اتجاه الاستاذ المحاضر فيما يراه من تجديد !!

وعند تناوله لقضية صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، وهى قضية نؤمن بها جميعا ، اتجه بها ناحية ، أو استغلها استغلالا موســـعا ، بحيث أخضع الاسلام للحياة يسايرها كيفما تكون ، لأنه متطور ، وصالح لكل مكان وزمان !! فيقول فى هذا : ((**أن الاسلام أصلا وفروعا وجوهرا ومظهرا فى هـــذه الروح اليانعة ، وهذا الضمير المفعم ، وتلك الروح هى التطور المرن ، وهذا التطور هو مفتاح الاسلام ، وهو أيضا مفتاح التــــاريخ .. وهذا ما عجز عن فهمه الكثيرون اذ قالوا بتلك القابلية للتقدم والتطور قولا ، وانكروها فعـــلا ، ولم يريدوا الانتباه الى اســـمى تعاليم القرآن ، وهى : ان الاحكام والمؤسسات والعبادات نســـبة ألهمتها الظروف التاريخية المعينة والمعطيـــات الاجتماعية الخاصة ، فتجاهلوا مدلول الآية الكريمة ((لكل أجل كتاب)) ! هـ** وتف كما وتفت عند قوله ((أصـــلا .. وجوهرا)) وقوله ((ان الأحكام والمؤسســـات (ماذا يريد بالمؤسسات) **والعبادات** .. الى آخر الفقرة : كيف يتطور الجوهر والأصل ؟ وكيف تكون العبادات نسبة (؟) ألهمتها الظروف التاريخية المعينة ؟ هل يعنى هذا أن الجوهر والأصل والعبادات خاضعة كما يقول لمدلول الآية ((لكل أجل كتاب)) فانتهى زمنها ، ولم يعد هـــذا أوانها ؟ لأنها خاضـــعة للظروف التاريخية ، وما صلح منها فى الماضى لا يصلح فى عهدنا الحاضر ؟

ان دعوة المحاضر الى الاعتبار بمدلول الآية لكل أجل كتاب يعنى كما أنهم أن كل شىء جاء به الاسلام من عبادات وغيرها خاضع لانتهاء أجله وخاضع أيضا للظروف التاريخية ، ومتى انتهت هذه الظروف أنتهى شأنها .. وهذه النظرة معناها : ان الصلاة بالصورة التى عرفناها عن القرآن الكريم وعن الرســـول خاضعة لذلك ، والصيام أيضا خاضع لتطور الزمن وانتهـــاء الأجل .. فنطور الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات حسب مقتضيات الزمن والحضارة بحجة أن لكل أجل كتاب والاسلام متطور !!!

ولو انه قال ذلك بالنسبة للاحكام الفرعية دون الاصول فيها النصـــوص

عليها مثل « وحرم الربا » لأمكن ان نتجاوب معه ، اما وقد ادخل الاصـــول أو الجوهر ثم الأحكام دون تقييد ، ثم ادخل العبـــادات ايضا تحت هذه القـــاعدة « قاعدة التطور ولكل اجل كتاب » فهذا امر خطير لا يمكن ان نسلمه له ، لأنه دعوة الى مسخ الاسلام والى تصرف العباد فى اصوله وكل احكامه حتى فى العبادات التى فرضها الله علينا فنكيفها حسب تطور الزمن .

وبعد هذا كله يقول المحاضر . . ان كان هذا التحليل لمفهوم الدين الاسلامى صحيحا فانه يمكننا أن نقول : ان الاسلام حظ من حظوظ تونس الحديثة الخ !!

ونحن نقول له من هنا ــ ولو طال الزمن بهذه المحاضرة : **لا . . ليس هذا التحليل صحيحا ، ولا مقبولا . ولا يمكن ان يؤدى قولنا بان الاسلام دين متطور الى ان نمســـــخه ونتصرف فى اصوله وعباداته حسب ما نفهم من التطـــور والمرونة .**

فهناك اصول واحكام ثابتة لا تخضع للتطور ، فلا يمكن ان نحل الربا ، لأن الزمن يقتضي هذا ، ولا يمكن ان نلغى الصلاة او نختصرها ، او نؤديها على غير وجهها ، ولا يمكن ان نلغى الصـــيام او الحج ، او نشرع لهما تشريعا آخر خاضعا لفهمنا ، بحجة تطور الاسلام .

ولقد ذكرنى السيد المحاضر بما قرأته فى مجلة « ثقافة الهند » من سنين لمحاضر هندى ذهب ليتحدث عن الاســـلام فى جامعة « ماكجيل » بكندا فدعا الدعوة نفسها التى يدعو اليها المحاضر ، ولعله استشهد كذلك بالآية « لكل اجل كتاب » دعا الى مسخ العبادات ، وكثير من الاصول فى الاسلام ، بحجة التطور ايضا ، فتصدى له مدير المركز الاسلامى بواشنطن فى ذلك الوقت الدكتور محمد بيصار ــ كما أخبرنى ــ وانتهى الامر بوقوف المستمعين لهما الى جانب حجج الدكتور بيصار مع انهم لم يكونوا مسلمين . . فماذا يريد الاستاذ عبد الوهاب بو حديبة المحاضر التونسى من كلامه هـــــذا ؟ هل له وجهة غير هـــذه ؟ اننى فى انتظار جوابه وارجو أن يجيب . .

خطاب من المانيا

من المصادفات الطيبة ان يصلنى خطاب من « المانيا الشرقية » كتبه لى طالب تخرج فى بلاده ، وذهب ليتخصص هنـــــاك فى مهنته ، وصلنى بعد أن انتهيت من كتابة الافتتاحية ودفعتها للمطبعة ، فرايت أن اســـوق هنا بعض ما جاء فى هذا الخطاب ، لأن له علاقة بالافتتاحية ، يقول الطالب :

« وهم هنا يحاربون الأديان ، ونحن (أى هو والطلبة معه) بطريق غير مباشر ، وذلك لقيام المســلمين منا بأداء الصـــلاة ، وخاصة صلاة الجمعة وصيامنا . ولقد فوجئوا بهذا الصيام واخذوا يتناقشون معنا . . ما فائدة الدين ؟ واين هو الله فى فيتنام ، لكى ينقذ الاطفال والنساء من ويلات الحرب البشعة الدائرة هناك ؟ واسئلة اخرى كثيرة لا يريدون الاجابة عليهـــا بقدر ما يريدون زعزعة الثقة فى ايمـــاننا بالله عز وجل ، وزعزعة عقيدتنا . لـــكن ذلك كله لا

يزيدنا الا اصرارا وتمسكا بدين الله . دين الحق .. والطعام الذى يقدمونه لنا في المدة الأخيرة وخاصة في أيام رمضان في منتهى الرداءة ، وذلك لكي يكسروا عزيمتنا في الصوم .. الخ .

ارأيت صديقي المدرس كيف يخلصون هناك لعقيدتهم او لمذهبهم . ويحاربون في طلابنا المسلمين دينهم وعقيدتهم ؟ هل راعوا صداقة كما تحب ان تراعي عندنا وفي ديننا ؟ وهل كفوا عن طلابنا وزعزعتهم لأنهم من بلاد صديقة ؟ كما تحب أن تقول ؟ وهل .. وهل ؟؟!!

انا أعرف أن بعض الضعاف يتبعون احيانا منطقا يزيدهم ضعفا ، ولكنا لا نحب أن نكون من هؤلاء ايها المربي الفاضل ، فعلم تلاميذك منطق القوة ، وعلمهم ايضا المجاملة ، لكن لا على حساب دينهم أو عقيدتهم أو عرضهم وشرفهم ..

وعبرة اخرى نأخذها من هذا الخطاب ولو انها لم تغب ولن تغيب عنا .. وهي ان أولادنا الذين يذهبون الى الخارج يتعرضون لامتحان شديد في ايمانهم بدينهم ، ولا نظن اننا نقبل أن يكتسب ابناؤنا علما ، ويفقدون دينا وايمانا . فالعلم بدون الايمان لا قيمة له .. سيعود هؤلاء لا يؤمنون بأى شيء ان نزع منهم ايمانهم بدينهم . وهذا هو الخطر .. الذى يجب على كل مسئول في البلاد الاسلامية أن يتنبه اليه .

يجب ان تكون هناك خطة موضوعة لكل البعثات التى تذهب للخارج شرقا او غربا ، يجب أن يكون ابناؤنا حين ذهابهم على وعي وايمان بدينهم ، حتى يثبتوا للهجمات والمغريات ، ويعودوا بالعلم مع الايمان ، وتستفيد منهم البلاد ، ولا يكونوا نكبة عليها بعلم دون ايمان .

ولا بد في نهاية هذه الكلمة ان احيي هذا الطالب المؤمن الواعي لكل ما يحاك حوله ، واحيي امثاله الكثيرين من ابنائنا المغتربين من اجل رفعة أوطانهم .

وقد تلقيت بهذه المناسبة مجلة اتحاد الطلاب المسلمين في كندا «الاتحاد» وهي صورة طيبة لنشاطهم هناك في سبيل دينهم ، تضم بعض آيات القرآن الكريم وترجمتها ، وكذلك بعض الأحاديث وترجمتها وموضوعات اسلامية مترجمة ومنقولة عن بعض الكتاب المسلمين .. واننا من هنا نحيى هؤلاء الطلاب ونشد على ايديهم وندعو الى معاونتهم وشد ازرهم . والله معهم .

سبب الهزيمة ..

عنوان كلمة صغيرة وصلتنى من السيد/ع. ع. بالرياض . يبدو منها حماسه لدينه وهذا شيء طيب ، ولكن الذى دعاني للتعليق على خطابه هو انه يستنكر ان يكون سبب الهزيمة تساهل او خطأ منا في التكتيك الحربى ويقول : ان السبب وحده هو عدم الاكتراث بالدين والعقيدة .. الخ ونحن جميعا نقول : بأن الايمان أمر ضروري في كل عمل يقوم به الانسان ، ولاسيما في الشدائد

التي تحتاج الى تضحية كالحروب ، وندعو المسلمين الى مزيد من قوة الايمان بالله وطاعته ، ومع ذلك لسنا مع السيد/الفاضل وامثاله في عدم الاكتراث بالتكتيك الحربي ، أو اخذ الأهبة والاستعداد .. ذلك لأن الله أمرنا مع الايمان بالاستعداد « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » « وليأخذوا حذرهم واسلحتهم » ولست احب أن نسير في النغمة التي يضرب عليها السيد الفاضل مهملين الأخذ بالاسباب ضاربين صفحا عن التكتيك الحربي ، وقوة الاستعداد كما يفهم من كلامه .. فقد هزم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بعد النصر في غزوة احد لا لضعف في ايمانهم ولكن لخطأ تكتيكي ، وقع فيه بعضهم بحسن نية حين خالفوا أمر الرسول وتركوا أماكنهم .

فالايمان ضروري ، واخذ الأهبة مع وضع الخطط المحكمة للحرب ضروري كذلك وهو من مقتضيات الايمان لا يغني احدهما عن الآخر . ذلك ما احب أن يفهمه الدعاة الى الله لأنه الفهم السليم لدينهم ، الفهم الذي يتمشى مع طبائع الامور ، وتستسيغه العقول ، ويستمع الناس له ، ويتجاوبون معه وان النصر لا يحتاج الى قوة العقيدة وحدها ، ولا الى التكتيك الحربي في الميدان وحده ، بل يحتاج اليهما معا والى أن يحسن كل واحد منا عمله حسبما يمليه عليه ايمانه ، في أى مجال يكون فيه عمله في أيام السلم وايام الحرب ، وبذلك يقع جانب كبير من النصر أو الهزيمة على الأمة . على الشعب . وبمقدار حرصه على عقيدته ، وعلى سلامة العمل والسلوك الذي يصدر منه . فلينظر كل واحد الى نفسه ، والى من حوله ، ليرى ماذا نستحقه في هذه الحياة ونحن — افراد وجماعات — على وضعنا الحالي ؟

واذا كانت هناك مسئولية ضخمة على القادة والحكام ، فان هناك مسئولية ضخمة كذلك على الشعب ، على كل فرد فيه . وانظر الى العبرة من هذه الآية التي رد الله بها على المعترضين في أحد الذين قالوا : كيف نهزم وفينا رسول الله ؟ : يقول الله لهم « أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » لأنهم خالفوا التكتيك الحربي الذي وضعه الرسول .

والقائد أو الحاكم ليس هو كل شيء ، بل لا بد أن يتضافر معه كل فرد ، ويؤدي واجبه المطلوب منه ، على الجبهة أو خلفها مع ايمان قوى بالله .

مع هذا العدد هدية (رسالة الحج)

(وفي العدد الآتي ذي الحجة : يصدر الفهرس العام للسنة)



للأستاذ : حسن عبد المقصود

جاءنا هذا البحث تعليقا على مقال نشر من قبل بالمجلة ونحن ننشر هذا التعليق نظرا لأن هذا الموضوع يشغل الأذهان ويدور حوله كثير من المناقشات . مرحبين فى الوقت نفسه بآراء القراء حوله .

ـ الوعى ـ

قرأت فى عدد جمادى الآخرة من مجلة (الوعى الاسلامى) مقالا بعنوان (التربية القرآنية) . (العرب قبل الاسلام للأستاذ على عبد العظيم ، وقد احسست أن الكاتب لم ينصف العرب ، بل لقد ردد ما سبق أن قال به الشعوبيون من أن العرب لم يكونوا أهلا لنزول الرسالة فيهم فيقول :

« لقد كان العالم كله يتشوق لدعوة روحية تطهره مما غمره من ارجاس وأوثان ، والى رسالة سماوية تنقذه من الطوفان ، وبخاصة بعد أن طالع المفكرون ما ورد فى الكتب المقدسة من اشارة لظهور نبى كريم يحق الحق ويبطل الباطل ، وينقذ الانسانية من وهدة الدمار » .

« وكان المنتظر ان تبزغ انوار هذه الرسالة بين اليهود أو المسيحيين . وأن تشرق انوارها فى أمة متحضرة نالت قسطا كبيرا من الثقافة والتهذيب . تستطيع أن تؤدى به دورها فى نشر هذه الرسالة العالمية الخالدة بين جميع الأمم والشعوب . أما أن تنفجر هذه الطاقة الروحية القومية بين قوم أميين متنابذين متناحرين . لم تجمعهم وحدة ولم تضمهم رابطة . وليس لهم تاريخ حضارى مجيد . وليس فيهم دين سابق يفيئون اليه ، وأما أن تبزغ هذه الأشعة الربانية فى فيافى الطبيعة الصحراوية بواد غير ذى زرع ، فأمر يفوق حد التصور . ويدخل فى نطاق المعجزات ، وفيه تتجلى قدرة الله الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » .

هكذا كتب الكاتب : وقد رأيت أن خير ما يعلق به على هذا الكلام الذى يشى بهوان العرب ، وعدم أهليتهم لأن تكون الرسالة فيهم . هو نشر ما سبق أن ابديته فى هذه القضية الهامة وهى صلة العرب بالاسلام .

فمنذ اربعة عشر عاما صدر كتاب للمفكر العربى الأستاذ ساطع الحصرى بعنوان (العروبة أولا) وتصدى لنقده والرد عليه المفكر المسلم الأستاذ أحمد محمد جمال بسلسلة مقالات فى مجلة الحج السعودية بعنوان (الاسلام أولا) .
« ولما كانت هذه المسألة من امهات المسائل التى ينبغى فى هذه الأيام أن توضح توضيحا كاملا بينا لا لبس فيه ولا ابهام ، لأنه على أساسها ـ كما أرى ـ تنهض أمة العرب برسالتها ـ فقد رأيت أن أبعث برأى لى قديم فى هذا الموضوع تناولته من نواحيه المختلفة سائلا الله أن يهدينا الى الصواب ويلهمنا التوفيق والسداد .

• • •

لقد كان العرب قبل الاسلام .. فماذا كان شأنهم ؟؟ كانوا قبائل متفرقة متنافرة متحاربة .. ولكنهم رغم ذلك كانوا يتميزون بأخلاق وسجايا قل أن يوجد مثلها فى أمم الأرض جميعا .. كان فيهم البيان فى أقوالهم وأفعالهم .. وفيهم الكرم .. فى فقيرهم وغنيهم .. وفيهم الشجاعة .. فى ضعيفهم وقويهم .. وفيهم المروءة فى سادتهم ودهمائهم .. وفيهم العفة .. والترفع عن الدنايا .. كانوا يسعون جهدهم لكسب الحمد .. فيحاول كل فرد .. وكل قبيلة .. فعل ما يكسب الحمد .. تقول الخنساء فى اخيها صخر :

ترى الحمد يهوى الى بيته   يرى أعظم المجد أن يحمدا

ولكنهم كانوا ، مع هذا كله أشبه بالمعدن النفيس الخام الموجود فى منجمه ، وقد خلط بكثير من الشوائب والأوضار ، والمواد الغريبة التى تضعف قيمته . وتكاد تذهب بمزاياه والانتفاع به .
فكانوا فى كرمهم مسرفين الى حد السفه .. وفى شجاعتهم متهورين الى درجة الجهل .. وفى عفتهم مبالغين .. حتى لقد وأدوا البنات خشية السبى والعار ..

وكانوا على شفا حفرة من النار .. بتفرقهم وشتات أمرهم وجاهليتهم واسرافهم على أنفسهم .. فأنقذهم الله منها .. بالاسلام .
على أنهم رغم هذه المعايب والنقائص كانوا هم الذين اختارهم الله سبحانه

وتعالى ليكونوا فى جوار بيته الحرام — أول بيت وضع للناس — وليكون قرآنه الخالد .. بلغتهم .. على رسول منهم .. « والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

• • •

ان بعض أعداء العرب والاسلام يزعمون أن سبب اختيار الله العرب لرسالة الاسلام فيهم ، يرجع الى انهم شر أمم الأرض جميعا .. وهذا افتراء على الله وعلى الناس .. فالله سبحانه يصطفى رسله من صفوة خلقه .. ما فى ذلك شك .

وقد جاء فى الأثر :

« اختار الله العرب من الناس . واختار قريشا من العرب . واختار بنى هاشم من قريش .. واختارنى من بنى هاشم .. فأنا خيار .. من خيار .. من خيار .. فمن احب العرب فبحبى أحبهم . ومن أبغض العرب .. فببغضى أبغضهم » .

وجاء فى الأثر أيضا :

« الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية ، خيارهم فى الاسلام » .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان إياك أن تبغضنى فتفارق دينك . قلت : يا رسول الله : كيف أبغضك ، وبك هدانا الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضنى » .

ويقول الامام اللغوى : ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى فى مقدمة كتابه : « فقه اللغة » : من احب الله — اى أطاعه — احب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . ومن احب النبى العربى . احب العرب . ومن أحب العرب .. أحب اللغة العربية .. التى نزل بها افضل الكتب على افضل العجم والعرب . ومن احب العربية عنى بها . وثابر عليها وصرف همه اليها .. ومن هداه الله للاسلام . وشرح صدره للايمان . وآتاه حسن سريرة فيه .. اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل .. والاسلام خير الملل .. والعرب خير الأمم . والعربية خير اللغات والألسنة » .

• • •

لقد كان الاسلام بالنسبة للعرب كالصناعة بالنسبة للمعدن الخام النفيس .. نقاهم من الشوائب والأوضار .... ونفى عنهم الخبث والفضول .. فاذا بهم فى حالة من النقاء .. والتوهج تبهر .. وتروع .

فالقول بأن : (العروبة أولا) أو القول بأن (الاسلام أولا) لا ينبغى أن يكون موضع بحث أو جدل .. فالعروبة وعاء الاسلام .. كما أن الجسد وعاء النفس .. فهل يمكن أن تقوم قضية يسأل فيها : هل الجسد أولا .. أم النفس أولا ؟؟.

ان العرب قاموا بالاسلام وحيوا وعزوا .. ولن يقوموا بغيره .. وان الاسلام انتصر بالعرب وسادت مبادئه .. وسعد العالم به .. ولن ينتصر ويظهر الا بالعرب .. ولا يصلح آخر هذا الأمر .. إلا بما صلح به أوله .

عندما نزلت الآية الكريمة : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى

ورضيت لكم الاسلام دينا » لم يكن قد دخل الاسلام أية أمة من أمم الأرض من غير العرب .

وفي القرآن خاطب الله العرب بقوله : « كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

ويذكرهم الله بنعمته عليهم بقوله :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ثم يقول سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .
ويقول سبحانه مخاطبا العرب :

« ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

ثم يقول : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا » .

• • •

ونظرا للمسئولية الضخمة التى ألقيت على عاتق العرب لحمل رسالة الاسلام لم يكن يقبل من احدهم الا الاسلام أو القتال .. أما غير العرب من الأمم فكانت تقبل منهم الجزية مع بقائهم على دينهم ..

وسيقول القائلون : فما بال المسلمين من غير العرب ؟؟ والقول فى هذا هو ما قاله الله ورسوله :

يقول الله سبحانه : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

ويقول الله سبحانه : « ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم » .

فاذا آمن بلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وغيرهم من العجم فهم اكرم عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من أبى لهب عم الرسول . وابى جهل . وعتبة . والوليد وغيرهم . من سادة قريش وزعمائهم .. الذين تخلفوا عن الايمان عنجهية واستكبارا ..

ومعنى هذا أن هؤلاء الموالى الأعاجم المؤمنين الأتقياء أقرب الى العروبة .. من هؤلاء السادة من قريش ، بفهمهم الاسلام واقبالهم عليه ..

فهم عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين فى المنزلة الرفيعة ..

وما من شك فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وكل مسلم له فى نفوس هؤلاء الموالى المؤمنين من الأعاجم مكانة تفوق مكانة الآباء

والأهل والعشيرة .

فكلما أعرب الأعجمى .. وفصح وأبان .. كلما زاد ايمانه قدرا .. وكلما زاد حبه للنبى العربى .. وللعرب المؤمنين وتقديره لفضل الله الذى أجراه له على أيدى العرب كلما تقلصت بذلك صلته بماضى أعجميته فى العقيدة والفكرة .

ومكان العرب من المسلمين . فى مشارق الأرض ومغاربها هى مكانة الامام من المصلين .

ومن الأدلة التى لا تقبل الجدل لوضوحها على صحة ما نذهب اليه ، ان ضعف العرب وتفككهم بسبب ترفهم وضعف خلقهم أدى الى ضعف الاسلام عندهم وعند غيرهم من الأمم غير العربية .

فمن الضرورى أن يؤمن العرب أن الله أعزهم بالاسلام .. فهم أهله .. وأعز الاسلام بهم عندما هداهم اليه .. ولن يعودوا أعزة أقوياء الا اذا عادوا مؤمنين صالحين كما كان الأوائل منهم .. فالعربى الكامل مسلم بفطرته ..

يقول الله سبحانه : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولقد كان العرب فى ضلال وغفلة . قبل الاسلام .

فلما غيروا ما بأنفسهم بالايمان والتقوى .. غير الله حالهم الى خير وبركة وعزة وتمكين فى الأرض ..

فلما عادوا فغيروا ما بأنفسهم .. مستنيمين الى متاع الدنيا .. غير الله حالهم الى ضعف وفقر وذلة ..

• • •

وها نحن أولاء نرى طلائع الفجر الجديد .. فعلى بركة الله سيروا أيها العرب .. وعلى شريعة محمد وهديه جددوا بناءكم . فانه الأساس لبناء العالم الاسلامى فى انحاء الدنيا ...

يقول الله سبحانه مخاطبا رسوله العربى الأمى :

« قل ان الهدى هدى الله » .

فنسأله سبحانه أن يهىء للعرب والمسلمين من أمرهم رشدا حتى يعرفوا مكانهم من العالم ثم يعملوا على تبوء هذا المكان لخيرهم وخير العالم ان شاء الله وصدق الله العظيم .. « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

• • •

الوعى : ولعل من المفيد ايضا فى هذا الموضوع أن نعيد هنا نشر رأى

بقية على صفحة ٨٦



أعدها : أبو نزار

شر النــــاس

قال ابو الهزيل : قلت لمجوسى : ما تقول فى النار ؟ قـــال : بنت الله . قلت : فالبقر ؟ قـــال : ملائكة الله . قص أجنحتها وحطها على الأرض يحرث عليها ، فقلت : فالماء ؟ قال : نور الله . قلت : فما الجوع والعطش ؟ قـــال : فقر الشيطان وفاقته . قلت : فمن يحمل الأرض ؟ قال : بهمن الملك .

قلت : فما فى الدنيا شر من المجوس . أخذوا ملائكة الله فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شووها ببنت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ، ثم سلحوها على راس بهمن الملك اعز ملائكه الله . فبهت المجوسى وخجل .

رد حــــاسم

روى عن المأمون انه قال : ما اعيانى جواب احد قط مثل جواب ثلاثة :

احدهم أم الفضل بن سهل ، فانى عزيتها عن ابنها وقلت : لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك ، فهأنذا ابنك مكانه ، فقالت : وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولدا .

والثانى رجل احضرته يزعم انه نبى الله موسى ، فقلت له : ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه يدخل يده فى جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ اليس بعد أن لقى فرعون فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى .

والثالث أن جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا الى يشكون عاملها ، فقلت : هو الضعيف الورع العدل ، فقالوا : صدقت هو كما ذكرت ، فاقسم بين رعيتك فى العدل ، وولـه غيرنا لينالوا من عدله ، قال المأمون : فصرفته عنهم .

ابن خير الناس

حج هشام بن عبد الملك ، واراد أن يستلم الحجر ، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه ، فجلس ينتظر خلوة ، فاقبل على بن الحسين رضى الله عنهم وعليه ازار ورداء ، وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحـا ، فجعل يطوف بالبيت ، فاذا بلغ الحجر تنحى النـاس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا ، فلما انتهى الطواف سأل هشام من هذا ؟ وكان الفرزدق حاضرا فقال له :

هـذا ابن خير عبـاد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطـاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحـاء وطأته ... والبيت يعرفه والحـل والحـرم
اذا رأتـه قريش قـال قـائلها ... الى مكارم هـــذا ينتهى الكرم

تعزيــة

قدم عمر بن عبيد على اخيه يونس ليعزيه عــن ابن له ، فقال له : ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك ، وان امرا ذهب اصله وفرعه لحرى ان يقل بقاؤه .

« ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينـــات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حـــج البيت من استطـــاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . »

صدق الله العظيم

روى مسلم عن جـــابر رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لاحدكم ان يحمل السلاح بمكة .

وفى الصحيحين عــن سعد رضى الله عنه قـــال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكيد اهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء .

حقيقة العبادة

اتى اعرابى ابا جعفر بن محمد ، فقال له : هل رايت ربك حين عبدته ؟ فقال : لم اكن لأعبـــد شيئا لم اره ، فقال : كيف رايته ؟ فقـــال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ، بل رأته القلوب بحقـــائق الايمان . لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالنـــاس . معروف بالآيات منعوت بالعلامات . لا يجوز فى قضيته . هـــو الله الذى لا اله إلا هو .

امتحان القبول

احضر اعرابى ابنه الى الخليل بن احمد ليعلمه ، فقال له الخليل يوما يمتحنه وفى يده قدح زجاج : يا بنى . صف لى هذه الزجاجة ، فقال : ابمدح أم بذم ؟ قال : بمدح . قال : نعم . تريك القذى . لا تقبل الأذى . ولا تستر ما ورى . قال : فذمها . قال : سريع كسرها . بطىء جبرها .

قال : فصف هذه النخلة ، واشار الى نخلة فى داره . فقال : ابمدح ام بذم ؟ قال بمدح . قـــال : هى حلو مجتناها . باسق منتهاهـــا . ناضر اعلاها . قال فذمها . قال : هى صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى . فقال الخليل : يا بنى نحن الى التعلم منك احوج .

مع هذا العدد هدية (رسالة الحج)

(وفى العدد الآتى ذى الحجة : يصدر الفهرس العام للسنة)



أحمد أمين

للأستاذ : عبد المعطى المسيري

كريم النفس ، سمح الخلق ، وضاح الجبين ، تعكس صفحة وجهه صورة لما يعمر قلبه الكبير من صفاء وايمان . أثرى المكتبة العربية بما قدمه من انتاج قيم يضيف الى معلومـات قارئه معارف ومفهومات جديدة فى مختلف العـلوم والآداب .

وارخ بأسلوبه الرائع عهدا مجيدا للعلماء ، وكيف تحظى بحوثهم بتقدير الادباء ، فأنت تقرأ الكتاب الذى يعـالج فيه كتابة التـاريخ فتراه من ناحيـة الأسلوب كأنه نموذج للأدب الرفيع . ومـن ثم جمعت آثاره بين عمق العـالم ، وشاعرية الفنان .

تقرأ الكتاب فلا تود أن تتركه حتى تفرغ منه . .

ولا تدعه الا لتبدأ فى الرجوع اليه . .

ومع هذا فأنت تقرأ العـلم !! تقرأ الفلسفة أو التـاريخ وقد تعودت أن تقراهما بأسلوب العلماء !!

تقرأ قصة الفلسفة اليونـانية قصة الرجـل الأول الذى ينظر فى الكون حائرا ، ما هذا ؟! ولم هذا ؟! وكيف هـذا ؟! ويرتقى ذلك الانسـان ، ويقطع المراحل ، وتتعاقب الأجيال ــ وتتصل الحلقـات حتى تصـل الى العصر الذى نعيش فيه مسجلة لمختلف الفلسفات ونموها وتطورهـا وذلك فى عرض فنى ليس بعده غاية لفنان ، ومع هذا المزج بين العلم والأدب ومـا يتطلبه ذلك من شمول العالم وتمحيصه ، وانفعال الأديب وتوثبه يقدمه صاحبه بمقدمة متواضعة يقول فيها : (**انه كان يقرأ ، ويلخص ما قراه ، وها هو يطبع ما لخص**) .

يقول هذا وهو يؤدب الفلسفة لينتفع بها الأدباء فيفلسفوا الأدب . . .

وتقرأ ((**فيض خاطره**)) أو ((**حياته**)) فتظن أن الرجل قد وقف حياته على الأدب الخـالص ، ففى الكتاب الأول يتنـاول مختلف فنـون الادب ، فيكتب الدراسات الفنية والنقدية ، ويصور الحياة فى شتى مظاهرها ومشاهدها . .

وفى الكتاب الثانى يكتب ترجمة ذاتية لحيـاته ، فيسجل ما الح عليه ، ومـا اضطرب فيه ، فاذا بالكتـاب صورة كاملة الملامح ، واضحة الأجزاء ، لجيله

وبيئته ومجتمعه ، ويسد بذلك فراغـا تشكو منه المكتبة العربية لفقرهـا فى كتب الترجمات .

ويغوص فى أعماق الأدب الشعبى فيضع (**قاموس اللغـة والتقـاليد والتعابير**) ذلك القاموس الذى كنا فى أشد الحاجة اليه ، والذى كان يحتـاج اعداده ووضعه الى عدة رجال ، وعلى طريقته فى التواضع يسميه « **قاموس** » ولكننا نسميه دائرة المعـارف الشعبية . فهو لم يدع شـاردة ولا واردة مما يضطرب على السنة الشعب فى السوق والبيت والحارة الا وضمنه الكتاب ، هذا بالاضافة الى اهتمامه بالأمثال والاساطير والصور المتنوعة لحياة الشعب .

وكان على تواضعه الشديد يعرف لنفسه قدرهـا .. ساله مرة احـد الصحفيين عن اثر تعيينه عميدا لكلية الآداب فكان جوابه : « اننى أصغر من استاذ ، ولكنى اكبر من عميد .. » .

ويطيب له أن يكشف عن حياته فيقول : « **كنت فى بدء حيـاتى العملية** كثير الفراغ ، أصرفه فى القراءة والكتابة فألفت « فجر الاسلام وضحاه » .. ثم قل فراغى لاشتغالى بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو فى المجمع اللغوى ، وفى مجلس دار الكتب ومجلس كليـة الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنـة التأليف والترجمة والنشر .. والجامعة الشعبية ، ومذيع فى الراديو .. وكل هذه أكلت من وقتى ، وبعثرت زمنى ، ووزعت جهدى مع قلة فائدتها فيما أعتقد ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور ، ولفرغت لاتمام سلسلة فجر الاسلام وضحاه وظهره وعصره فقد كان ذلك أجدى وانفع واخلد ، ولكن للظروف احكام ..

ويتحدث عما يروقه فى الأدب فيقول : « اكثر ما يعجبنى فى الأدب ماغزر معناه ، ودق مرماه ، ولذلك لا يهتز قلبى لأكثر شعر الطبيعة فى الأدب العربى لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على حرارة العاطفة » .

يتعلم الانجليزية

ويخطر له وهو الفقيه القاضى الشرعى الكبير السن ، الكثير المسئوليات ان يتعلم الانجليزيـة وذلك اثر حديث لصديق عن كتـاب للمسـتشرق الأمريكى (ماكدونالد) تناول فيه نظام الحكم ، وتاريخ الفقه ، والمذاهب والعقـائد فى الاسلام فيقسم ان يقرأ هذا الكتاب فى لغته !!

ويوفقه الله فيبر بقسمه .. يذهب الى مدرسة (برليتس) ويبذل المجهود الشاق فيقرأ فى البيت ، ويحفظ فى الطريق ، ويذاكر وهو يراقب الامتحانات ويراجع وهو يشرف على حصص الدروس ولم يكن فى فصل يتعـاون فيه مع الطلبة ولا فى بيئة تعودت السمع للغة أجنبية ولذلك يقول الشيخ الخضرى : **« قد جرب هذه التجربة مئات من طلبة دار العلوم فساروا خطوات ثم وقفوا »** فيرد عليه بقوله : **« ساجرب كما جربوا ، ولكن سانجح حيث فشلوا » .**

ويجتهد ، فيعكف على كتاب الاسلام للسيد (أمير على) يحاول أن يقرأه فى الانجليزية ، وكان يصرف فى الصفحة الواحدة ثلاث ساعات ، يكشف فى المعجم عن كل كلمة وهو جاد صابر ..

ويوفقه الله الى آنسة انجليزية تدعى مس (بور) وهى مثقفـة ، تنشر المقالات فى جريدة (التايمز) فتحدث المعجزة ويلم تمام الالمام باللغة الانجليزية

وادبهـــا .

ويتحدث عن ذلك فيقول : « **ماذا كنت لو لم اجتز هذه المرحلة ؟ لقد كنت ذا عين واحدة ، فاصبحت ذا عينين ، وكنت أعيش فى الماضى ، فصرت اعيش فى الماضى والحاضر ، وكنت آكل صنفا واحدا من مائدة واحـــدة ، فصرت آكل من اصناف متعددة على موائد مختلفة .. لو لم أجتز هذه المرحلة ثم كنت أديبا لكنت اديبا رجعيا يعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى ، ولو كنت مؤلفا لكنت جماعا أجمع مفترقا ، أو أفرق مجتمعـــا من غير تمحيص ولا نقد .. فانا مـــدين فى انتاجى الضعيف فى الترجمة والتاليف والكتابة الى هذه المرحلة من المراحل الأولى ...**

وكان [illegible] العصر ... اتفق مع زميليه « عبد الحميد العبادى وطه حسين » على تاريخ الحياة الاسلامية .. على أن يكتب « العبادى » التاريخ ، ويكتب « طه حسين » الحياة الأدبية ، ويتنـــاول هو الحيـــاة العقلية ، ثم ينصرف كل الى شأنه ، وتلح المشـــاغل على الاثنين ــ العبـــادى وطه ــ فلا يصنعان شيئا ، فأما هو فينجز مـــا التزم به وينشر (فجر الاسلام) .. ثم يقدر ان صاحبيه قد انصرفا عما اتفقوا عليه ، فيعكف على الموضوع ، فينجز ما كان سيضطلع به الجميع .. وتظفر المكتبة العربية بذلك المرجع العظيم للحياة الاسلامية .. ويتتابع صدور أجزاء فجر الاســـلام وضحاه فتحظى من النقاد والمستشرقين بالثناء والتقدير .

يقول الدكتور طه حسين : ولست اخفى أنى لم اكن اعرف حـــدا لهـــذا الدهش الذى كنت أحبه فى حين أرى احمد أمين يتصرف فى المسائل الادبيـــة والفلسفية واللغوية بقدم ثابتة ، ويد صناع ، وعقل يعرف كيف يفكر ، وكيف ينتقل من قضية الى قضية ، ومن مقدمة الى نتيجة ، وكيف يضع الأشياء بعد ذلك كله فى نصـــابها معتدلا احسن اعتـــدال ، لا يعرف التقصير ولا يعرف الاسـراف » .

والحق ان الدكتور طه حسين لم يجاوز الحق فى هـــذا الحكم ، فمؤرخ الحياة الاسلامية قد بعثها فى صورة واضحـــة وبأسلوب بين المنهج ، سهل المخرج ، لها من جلال العالم الحظ الأوفر ، ومن رقة الشاعر النصيب الآكبر ، هذا فوق تفردها بطابع العصر الحديث .

فقد ارخ المرحوم احمد امين بفجر الاسلام وضحاه صفحة مجيدة للتاريخ فى الأدب العربى .. لم يسبقه اليها مؤرخو العربية ، اذ كان ينقصهم ــ فوق التحرر من الفهم وعاداتهم وحزبيتهم ــ الاحاطة بالمناهج العلمية الحديثة التى تجعل نصيب الاستقراء والاستنباط والتحليل فوق نصيب الألفاظ والتراكيب ، فمثلا (نضال الفرق الاسلامية) كيف كان يتم تكوين فكرة سليمة عن هذا النضال من درس الكتب القديمـــة ، التى تزخر بمختلف الآراء ، وتعدد الروايـــات ، وبخاصة أن كتابها كانوا كثيرا ما يعمدون الى ارضاء فريق يدينون برأيه دون مراعاة للحق والتاريخ !؟.

انهم كانوا واحدا من اثنين : فريق يشرح وجهـــة النظر لكل فرقة ويقف عند هذا الحد ، وفريق آخـــر يعرض لكل راى ويبدى حجته ولكنه يعمـــد الى نقض حجج الراى المخالف له بأسلوب يسفه فيه هذا الراى وهكذا ظل تاريخ تلك الفرق ينقصه من يشرح وجهة النظر ويحللها .. ينقصه القاضى العـــادل الذى يحكم بعد امعان النظر ــ من غير حرج ولا تسفيه ، الى ان أتيح له احمد امين الذى يقول : « **وان من طلب العلم ودعا اليه علم ان العنف يدعو صاحبه**

الى العنف والاصرار عليه ، ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتى هى احسن)) .

وعلى سبيل المثال نعرض لمناقشة اصل من اصول المعتزلة ولعله اهمها وهو العدل يقول : (لقد وقفوا — المعتزلة — أمام مشكلة المثوبة والعقوبة فرأوا ان ذلك لا يكون له معنى الا بتقرير حرية الارادة فى الانسان ، وانه يخلق اعمال نفسه . وان فى امكانه أن يفعل الشيء والا يفعل . فاذا فعل بارادته . وترك بارادته كانت مثوبته أو عقوبته معقولة عادلة . أما اذا كان الله يخلق الانسان . ويضطره الى العمل على نحو خاص . فيضطر المطيع الى الطاعة . والعاصى الى العصيان . ثم يعاقب هذا ويثيب ذاك . فليس من العدالة فى شيء . ولعل نقطة الضعف فيهم انهم افرطوا فى قياس الغائب على الشاهد ، اعنى فى قياس الله على الانسان . واخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم ، فقد الزموا الله تعالى مثلا بالعدل كما يتصوره الانسان ، وكما هو نظام دنيوى . وفاتهم ان معنى العدل — حتى فى الدنيا — معنى نسبى يتغير تصوره بتغيير الزمان ، وان ما كان عدلا فى القرون الوسطى يعد ظلما الآن ، فكيف اذا انتقلنا من عالم الدنيا الى عالم الله ؟ وكذلك الشأن فى قولهم فى الحسن والقبح والصلاح والأصلح ، انا نرى ان الانسان اذا ضاق نظره حكم على الأشياء حكما ، فان اتسع نظره تغير حكمه .. فمن نظر فقط الى اسرته كانت بعض احكامه خطأ بالنسبة لمن اتسعت نظرته الى امة ، او الى الانسان عامة ، ونحن فى اعمالنا ننظر الى عالمنا ، والله تعالى رب العالمين قد ينظر فى اعماله الى جميع العوالم ما نعلم منها ، وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذى نتصوره نحن فى عالمنا هذا ؟ كذلك قولهم فى أن صفات الله عين الله أو غير الله .. كل براهينهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد ، ولكن الشبه معدوم ، وقد فرضوا أن العينية والغيرية والزمانية والمكانية لازمة لكل موجود ، وهذا فى نظرى خطأ محض فهى قوانين الانسانية ، وان تسامحنا قليلا قلنا انها قوانين عالمنا هذا ، ولسنا نستطيع القول بأنها تنطبق على غير عالمنا أو لا تنطبق فاصدار حكمنا على الله على اعتقاد انها قوانين شاملة للانسان جراة لا يرتضيها العقل الذى يعرف قدره ولا يعدو طوره)

من خلال هذه السطور نقدر المنهج الذى سلكه احمد امين فى التأريخ ، ومن خلالها ايضا نقدر كيف اتحد عمق العالم ويراع الشاعر محققا بذلك أملا كنا نهتف به ونتمناه .

ثم ينتقل الى اثر الفرق فى الادب فيشير الى المعتزلة الذين اغنوه من حيث المعانى وقوة العقل ، وسعة الذهن ، وتوليد الأفكار العقلية ، ونظرهم الى الكون والى الطبيعة والى اجراء التجارب عليها ودلالتها على خالقها ، وغوصهم على المعانى ونقلهم الأدب من لفظ رشيق ، الى معنى عميق ...

ثم يتحدث عن الشيعة وكيف أثروا على الأدب من الناحية السياسية والعاطفية .

وهكذا كان للناس من الادبين جميعا ، فكر وعاطفة ، وعقل وقلب ... وكلاهما لا بد منه ولا غناء عنه للأدب ..

وبعد . فهل ترانى قلت شيئا عن الفقيد الكريم ؟!

رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما اسدى للعربية — امة ولغة — من خير وفضل .

كتاب الشهر

قادة فتح المغرب العربي

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
الجزء الثاني في ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار الفتح للطباعة والنشر — بيروت

عرض وتلخيص الأستاذ : سعيد زايد — المجمع اللغوي بالقاهرة

وعدنا القارىء الكريم حين قدمنا الجزء الأول من هذا الكتاب وذلك في عدد ذى القعدة الماضي أن نقدم عرضا وتلخيصا للجزء الثانى منه . وها نحن أولا نبر بوعدنا ، بعد أن بر الأستاذ المؤلف بوعده للقراء واصدر الجزء المذكور .

لقد سار الأستاذ اللواء على النهج الذى كتب به الجزء الأول — أسلوب مشرق جذاب فى عبارة رصينة تخلو من الركاكة ، وفهارس تحليلية تدل على جهد كبير ، واشارة الى المراجع فى دقة وامانة ، وتحر للحقائق التاريخية ، ومناقشة بعض الروايات مناقشة تدل على أصالة فى كتابة التاريخ .

وينقسم هذا الجزء الى بابين : يتحدث المؤلف فى الباب الأول عن القادة المرؤوسين ، ويكون هذا الباب حوالى ثلث الكتاب او يزيد قليلا ؟ ويتناول الباب الثانى موجز تاريخ المغرب العربى من الفتح الاسلامى حتى اليوم ، ويقع فى حوالى ثلثي الكتاب . وقبل هذا وذاك يهدى الأستاذ اللواء كتابه « **الى المجاهدين القدامى الذين بذلوا أرواحهم لنشر لغة القرآن وتعاليمه فى ربوع أفريقية . والى المجاهدين الجدد الذين بذلوا أرواحهم لتثبيت دعائم لغة القرآن وتعاليمه فى أفريقية ... تحية الأبناء للآباء ، وعبرة الشهداء للأحياء .** »

ويبدأ الأستاذ اللواء كتابه بالحديث عن قادة فتح ليبيا . فيذكر منهم عمرو ابن العاص وبسر بن أرطأة العامرى ، وعقبة بن نافع الفهرى ، وعبد الله بن الزبير بن العوام . أما بالنسبة للأول والثالث فقد أحال القارىء الى ما سبق أن نشره عنهما فى كتابيه « قادة فتح الشام ومصر » ، والجزء الأول من « قادة فتح

المغرب العربى » ، وأما بالنسبة للثانى والرابع فقد تحدث عنهما فى كتابه هذا .

بسر بن أرطاة

وبسر بن أرطأة ، صحابى تولى منصب القيادة فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وقد لمس فيه عمرو الشجاعة والاقدام ، فأرسله لفتح ودان بعد فتح طرابلس الغرب ، وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين هجرية ، واشـــترك فى غزو أفريقية مع جيش العبـــادلة مع عبد الله بن ســـعد بن أبى سرح ، وتولى بسر البحر من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة ثلاث وأربعين الهجرية ، فغزا الروم كما غزاهم سنة احدى وخمسين ، وسنة اثنتين وخمسين ، وفتح أيضـــا مدينة مجانة بأفريقية وهى تسمى قلعة بسر .

وقد ولد بسر سنة اثنتين من الهجرية ، وسمع عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، وروى عنه أربعة أحاديث ، وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة ، وعاش مجاهدا وفاتحا ومرابطا فى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، وشهد مع معاوية بن أبى سفيان معركة صفين سنة سبع وثلاثين هجرية ، وارسل من قبل معاوية بن ابى سفيان أيضا ــ سنة أربعين هجرية على رأس ثلاثة آلاف مقاتل الى الحجاز واليمن . وقيل انه قتل ابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس ، وسبى النساء المسلمات ، مما لا ترضاه شهامة العرب ، ولكن الأستاذ اللواء خطاب ينفى عنه هذه التهمة قائلا : ان قتل الأطفال يأباه العربى فى الجاهلية ، فكيف يفعله بسر فى الاسلام ، وتعاليم القتال فى الاسلام صريحة فى عدم قتل الأبرياء والأطفال والنساء وصيانة الأسرى والرهائن والجرحى » .

وتولى بسر بن أبى أرطأة البصرة ســـنة احدى وأربعين هجرية ، وبقى عليها عاما وبعض عام ، عاد بعده الى الشام ليتولى قيادة أحد جيوش المسلمين سنة ثلاث وأربعين هجرية ، واختلف فى مكان موته ، فقيل ــ المدينة ، وقيل الشام ، واختلف أيضا فى تاريخ الوفاة ، فقيل ــ انه توفى فى زمن معـــاوية ، وقيل انه توفى فى أيـــام عبد الملك بن مروان ، وقيل انه توفى فى أيـــام الوليد ابن عبد الملك .

رحم الله بسر بن أرطأة ، فقد كان ــ كمـــا يقول الأســـتاذ المؤلف ــ من أسود العرب ، فكان فارسا شجاعـــا ، فتح منطقة ودان فى ليبيـــا ونشر الاسلام بين قبائل البربر .

عبد الله بن الزبير

ومن قادة فتح ليبيا أيضـــا عبد الله بن الزبير بن العوام ، أول مولود فى الاسلام من المهاجرين بالمدينة ، حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، وحدث عنه ، وروى عن أبيه وعن الخليفتين عمر وعثمان رضى الله عنهم ، كما

روى عن غيرهم ، وقد شهد عبد الله معركة اليرموك مع أبيه ، وشهد أيضا فتح مصر ، ووقع شاهدا على وثيقة الصلح بين المسلمين وبين أهل مصر . واشترك فى فتح ليبيا مع عمرو بن العاص وقادة حملة المسلمين لفتح احدى مدنها وهى مدينة صبراته ، وكان فتح أفريقية على يديه يوم أن سار اليها تحت لواء عبد الله ابن سعد بن أبى سرح ، وشهد معركة الجمل مع أبيه وخالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها .

وعبد الله بن الزبير يرجع نسبه الى بنى أسد أحد بيوتات قريش العشرة ، وقد نشأ وترعرع فى أحضان النبوة وفى كنف الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى رعاية أبيه البطل الزبير بن العوام ، وقد كان عبد الله بن الزبير أثيرا عند الخليفة عمر بن الخطاب بعد الخليفة أبى بكر الصديق ، مقربا الى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وقد اعتزل حروب الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان ، كغيره من كبار الصحابة ، ولم يبايع الأخير الا بعد انتهاء الفتنة الكبرى وعودة الوحدة الى صفوف المسلمين ، ولكنه كان يقف منه — أى معاوية بن أبى سفيان — موقف التحدى فى بعض الأحيان .

ولم يبايع عبد الله بن الزبير ، يزيد بن معاوية ، وظل على خلاف معه ، حتى بويع بمكة بعد أن عظم قتل الحسين بن على رضى الله عنهما سنة احدى وستين هجرية ، وعاب أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة ، وبعد موت يزيد بن معاوية بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة بالحجاز ، وذلك سنة أربع وستين هجرية ، وظل عبد الله فى تلاقل وفتن وحروب ، حتى قتل فى حرب بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفى قائد جيش عبد الملك بن مروان صبيحة يوم الثلاثاء سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين هجرية ، وقد كان عبد الله قارئا لكتاب الله متبعا لسنة رسوله ، قانتا ، راويا ، فصيحا ، فارسا ، شجاعا .

ويتحدث الأستاذ اللواء بعد ذلك عن قادة فتح تونس ، فيذكر منهم خمسة قواد هم : عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى — وعبد الله بن الزبير — ومعاوية بن حديج السكونى ، وعبد الملك بن مروان — ورويفع بن ثابت الانصارى ... وهو قد تحدث عن ابن الزبير خلال حديثه عن قادة ليبيا ، فلا يتحدث عنه هنا ، ثم يحيل الحديث عن القائدين الأول والثالث . على الجزء الأول من كتابه هذا ، وينفصل الحديث بعد ذلك عن عبد الملك بن مروان ورويفع ابن ثابت الانصارى .

وعبد الملك بن مروان ، ولد سنة ست وعشرين هجرية ، ودافع عن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه يوم الدار سنة ست وثلاثين هجرية ، وكان سنه عشر سنوات ، وغزا عبد الملك أفريقية مرتين تحت لواء معاوية بن حديج السكونى — مرة سنة احدى وأربعين هجرية ، ومرة سنة خمس وأربعين هجرية .

وفى أيام خلافته استرد افريقية من الروم وحلفائهم البربر ، اذ أرسل اليهم قائده زهير بن قيس البلوى الذى انتصر عليهم ودخل القيروان سنة تسع وستين

هجرية ، ثم تم له فتح قرطاجنة وأتم تحرير المغرب العربى سنة ثلاث وسبعين هجرية بقيادة قائده حسان بن النعمان الغسانى .

وعبد الملك بن مروان من الطبقة الثانية من التابعين ، ولد فى بيئة اسلامية كاملة ولم تدركه لحظة فى الجاهلية ، عاش فى بيت الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وشهد مقتله وكان احد المدافعين عنه ، كما ذكرنا ، وقد قضى عبد الملك حوالى اربعين عاما متوالية من حياته فى المدينة المنورة ، لم يبرحها الا للجهاد أو لزيارات موقوتة ، ولذا عد احد أربعة من فقهاء المدينة ، والثلاثة الآخرون هم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب .

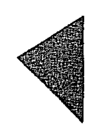
اما رويفع بن ثابت الانصارى ، فهو صحابى ، روى عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من التابعين ، كان ممن جاهدوا فى فتوحات الشام ، واشترك فى فتح مصر وليبيا والنوبة تحت لواء عمرو بن العاص ، كما اشترك فى فتح تونس تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وفتح المغرب تحت قيادة معاوية بن حديج السكونى ، وعندما تولى أمر طرابلس الغرب غزا تونس ودخلها سنة سبع وأربعين هجرية ، وفتح جزيرة (جربة) .

لم يسمع عنه أنه شارك فى الفتنة الكبرى ، بل ابتعد عن ميدانها بقلبه وبدنه ، فسكن مصر ، ثم طرابلس الغرب وبرقة ، أيام ولايته عليهما تباعا ، وأمضى فى الأخيرة آخر أيامه ، ثم قضى فيها ودفن فى الجبل الأخضر فى مدينة البيضاء فكان آخر من توفى من الصحابة هناك .

ثم يذكر الأستاذ اللواء بعد ذلك قادة فتح الجزائر ، فيشير الى أبى المهاجر دينار ، وعقبة بن نافع الفهرى ، وزهير بن قيس البلوى ، وحسان بن النعمان الغسانى ، ويحيل القارىء على الجزء الأول من كتابه ، وكذلك قادة فتح المغرب ، ويذكر منهم — عقبة بن نافع الفهرى — وحسان بن النعمان الغسانى — وموسى بن نصير اللخمى ويحيل من يريد أن يعرف سيرهم أيضا على الجزء الأول من كتابه .

هذا هو الباب الأول من الكتاب ، ونتحدث الآن عن الباب الثانى أو ما يسميه الاستاذ اللواء خطاب الخاتمة ، وهو عبارة عن موجز لتاريخ المغرب العربى من الفتح الاسلامى حتى اليوم ، ويستهله بكلمة عن محاولة الاستعمار فى الغاء القومية العربية بمحاربة اللغة العربية فى المغرب العربى ، حتى ظن أنه أصبح فى مأمن ، ولكن انتفاضة الشعب قضت على آماله وبددت أحلامه ، فعادت لبلاد المغرب قوميتها ، وأخذت لغتها الأصلية فى التغلغل فى جميع شئون الحياة ، وسوف لا يمضى وقت طويل حتى تعرب جميع مظاهر المجتمع .

وقد بدأ الفتح الاسلامى للمغرب سنة اثنتين وعشرين هجرية ، بدأ بعمرو بن العاص وانتهى بموسى بن نصير ، ست وستون سنة استشهد فيها قائدان ، هما — عقبة بن نافع الفهرى وزهير بن قيس البلوى ، كما استشهد فيها عشرات الألوف من المؤمنين فى سبيل المبادىء والمثل العليا التى نادى بها الدين الحنيف .



ولم يكن القصد من الفتح الاسلامى هو الاستعمار أو الاستعلاء بل حمل شعلة الدعوة الاسلامية لتهدى القلوب الى الايمان وتنير العقول بنور المعرفة الحقة ، فمن آمن بكتاب الله أصبح فى مأمن واضحت له جميع حقوق المواطن . لقد كان المسلمون فى حروبهم دعاة أولا ، ومحاربين ثانيا ، وصحب الفقهاء جيوش المسلمين كما صحبها المحدثون والعلماء والقراء ، فالدعوة عند هؤلاء وهؤلاء من الجهاد الأكبر ، أما القتال فكان الجهاد الأصغر سياسة حكيمة ، جعلت بقية كفار البربر يعتنقون دين الله بعد أن تمت لهم فترة من الاستقرار عقب كمال الفتح الاسلامى وامتداده الى الأندلس أيام اسماعيل بن عبيد الله والى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، زد على ذلك أن أصبحت العربية لغتهم ، وهذه معجزة كبرى لم يستطع استعمار اليونان ولا الرومان تحقيقها بالنسبة للفتين اليونانية والرومانية ، والى جانب هذا وذاك انخرط البربر فى جيش المسلمين ، وساهموا فى فتوحاته ، وصاروا بذلك سادة لا عبيدا وفاتحين لا مغلوبين ، ويذكر الأستاذ المؤلف بعض لمحات من تاريخ المغرب العربى بعد الاسلام ، وعن الدولة المغربية التى اسسها ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب بعد أن عانت البلاد من ثورات الخوارج التى قصدت المغرب ونشرت فيه مذهبها ، وقد وحد ادريس المغرب الأقصى وفتح تلمسان ، وسار ابنه ادريس الثانى فى الطريق الذى رسمه ، فبنى مدينة فاس ، وجعلها عاصمة المغرب ، وحكم البلاد حكما حسنا ، ووصلت الدولة غاية مجدها فى عهد حفيده يحيى بن محمد بن ادريس سنة مائتين وأربع وثلاثين هجرية ، وقد قدم فاس فى هذه الفترة محمد بن عبد الله الفهرى ، الذى ترك ابنتين هما — فاطمة التى عرفت بأم البنين ، ومريم وأورثهما ثروة طائلة ، وقد بنت الأولى جامع القرويين الذى أضحى جامعة المغرب ، وما زال — حتى الآن — حصنا للدراسات العربية والاسلامية ، فقد نشر الثقافة وحفظ التراث العربى بعد نكبة « الفردوس المفقود » ، هذا الى جانب بعثه للشعور الوطنى ونفخه روح الفداء والدفاع عن حوزة الوطن وذوده عن الاسلام والشريعة المحمدية السمحاء .

وتحدث المؤلف بعد ذلك عن ملوك الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين ، وبنى مدين ، والسعديين ، والعلويين الذين لا يزالون يحكمون المغرب حتى اليوم ، والعصور التى مر بها حكمهم حتى عهد المغفور له الملك محمد الخامس .

ويمضى الاستاذ اللواء بعد ذلك فى سرد تاريخ الجزائر وتونس وليبيا وقصص استعمارهم ثم قصص الجهاد الذى تولاه ابناء البلاد حتى تحقق الاستقلال ، ثم يعقب على ذلك بدروس من التاريخ يهديها للمغرب العربى وللعرب فى كل مكان . ونرى من المفيد ان نبرز الأفكار الرئيسية فى هذه الدروس .

يقول المؤلف ان « المغرب العربى يعانى مشاكل كثيرة بعد استقلاله ، نتيجة للحروب الصليبية التى خاضها منذ القرون الوسطى ، ونتيجة للاستعمار فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ونتيجة لتربص الصهيونية واسرائيل به حاضرا ومستقبلا » ، فالبنيان السياسى ومشاكل الادارة والاقتصاد

والتعليم وبقية المشاكل الاجتماعية ، كل ذلك شمله التدمير المادى والمعنوى على أيدى الاستعمار ، وهو يحتاج الى تخطيط سليم ليحل حلا جذريا ، ويعطى الاستاذ المؤلف اساسا لهذا التخطيط ، مستندا الى عبر التاريخ وهو اساس يتلخص فى كلمة واحدة ـــ الأخلاق « والأخلاق فى جوهرها الصافى ومثلها العليا هى الاسلام فى جوهره الصافى ومن مثله العليا . قال الله سبحانه وتعالى يصف نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام » وانك لعلى خلق عظيم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقال « الا أخبركم بأحبكم الى واقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؟ » فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثا ، قال القوم : نعم يا رسول الله قال « أحسنكم خلقا » .

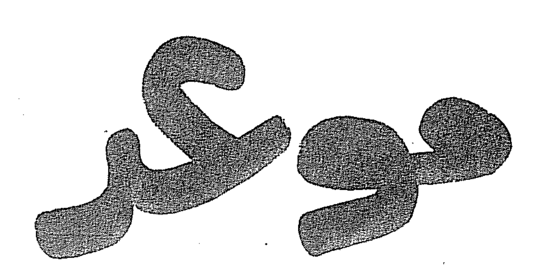
ان الله حقيقة ابدية خالدة وكمال مطلق فى ذاته ، نسب اليه الدين واوصى به الي من اصطفاه وكلفه بتبليغه الى الناس ، وما دام الدين من عند الله فهو صورة من كماله واتباعه والسير على هداه يحقق الاستقامة حتما فى السلوك والتفكير والوجدان والصلات الاجتماعية ، ويقول الأستاذ اللواء ـــ بعد أن يفند مزاعم الملحدين فى فضل الدين على ثورة الجزائر ـــ « لقد انبعثت ثورات المغرب العربى كلها من مفاهيم اسلامية أصيلة ـــ عروبتها فى اسلامها ، واسلامها فى عروبتها ، من جامع القرويين فى المغرب ، ومن جامع الزيتونة فى تونس ، ومن جمعية العلماء فى الجزائر ، ومن الزوايا السنوسية فى ليبيا ، فمن الحق أن نعترف بفضل هذه المعاهد على استقلال المغرب العربى وحريته ، لا أن نقابلها بالعقوق ونكران الجميل ونتنكر لها تنكرا لا يفيد غير الاستعمار واسرائيل .

ويرى الأستاذ اللواء انه ينبغى ـــ لكى نعد الجيل المؤمن الصادق ـــ أن يكون التعليم الدينى اجباريا فى جميع مراحل التعليم من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية كما يجب أن تشتمل الدروس الدينية على دراسة التراث الاسلامى ودراسة القرآن الكريم ، والتركيز على جوانب الجهاد ، وما ورد فيه من آيات تجعل من المسلم شجاعا عزيزا كريما فدائيا يضحى بنفسه فى سبيل الله اعزازا للامة وتحريرا للوطن ... « حينذاك سينشأ جيل لا يكذب ، ولا يسرق ، ولا يخون ، ولا يغش أحدا ، ولا يمالىء أجنبيا على أخيه ولا على أمته ، ولا يرضخ للظلم ، ولا يخشى الا الله ، شجاع مقدام ، أمين مستقيم فارس فى النهار راهب فى الليل ، يتمنى الشهادة فى سبيل عقيدته ويضحى بنفسه فى سبيل اعلاء كلمة الله .

ان امة ـــ على هذه الجوانب الخلقية ـــ لا تقهر ابدا ـــ فقد فتح العرب المسلمون العالم بالاسلام ، وساروا به . « وتاريخ المغرب العربى ، بل تاريخ العرب كله خير شاهد على ذلك » .

وبعد ، فهذا هو الجزء الثانى من كتاب « قادة فتح المغرب العربى » ان دل على شىء فانما يدل على همة عالية للمؤلف ، همة لا تعرف الكلل ، همة مباركة قصد بها وجه الله واعلاء كلمته واظهار مجد العرب والمسلمين ، وهو كتاب جدير بأن يقرأه كل من يريد معرفة أمجاد أمته ، وكيف كانت أيام تمسكها بالدين ، وكيف اصبحت اليوم .





مسرحية من فصل واحد

الزمـــان : بعد الهجرة المجدة .
المكـــان : بويت فى ضواحى المدينة المنورة .
الأشخاص : عقبة ، وولداه : خويلد وقتادة ، وزوجه عثمة .

عقبـــة : اوقدى اوقدى يا ام خويلد ، كأن الرمـــال تفح زمهريرا ، والنخيـــل ينثر بردا .
خويلد : يكاد دمى يهرب الى عظمى .
عثمـــة : فدتك أمك . منذ سنين طويلة لم تشهد يثرب عواصف كهذه . كأنهـــا سافيات يوم الأحزاب .
عقبـــة : تكاد الجدران تتناثر . والعيون تلوذ وراء الجفون .
خويلد : لا ينجى مثل الأغطية . والفحيح .
عقبـــة : عد عن ذا يا بنى . الفحيح للأفعى . ثم ان العشية من أولها .
خويلد : والله لفحيح الأفعى أيسر من تجمع الأحزاب لغزونا .
عثمـــة : فليكثروا اكثارهم ، فالله من فوق عين ترعى . ومن كل جهة يد تضرب . ولن يعودوا الى مثلها .
عقبـــة : يد الله فوق أيديهم ، ونحن لهم بالمرصاد .
خويلد : سمعت رسول الله يحدث (سلمان) عن كيد قريش .
عقبـــة : ما أعظم حكمة الرجل !
عثمـــة : دع الفتى يتكلم عن رسول رب العالمين .
(تلتفت الى ابنها) .
اكمل بنـــى .
خويلد : وسلمان مطرق ، ينصت .
عثمـــة : ثمة ؟.. ولكن بالى مشغول لتخلف قتادة .
خويلد : فنظر الى الرسول وعيناه مغرورقتان ، وأطال النظر .
عثمـــة : قلبه فى عينيه ، ولسانه يتحدث فى الصمت الى قلبه .



مع الصّباح

للدكتور : علي شلق ـ الجامعة اللبنانية

عقبـــة : هو ذاك يا عثمة ، كم نحن مدينون له !

عثمـــة : انتصارنا من الله ورسوله ، فالله ساق سلمان بحكمتـــه الينـــا ، والرسول أخبر خلق الله بالرجال .

عقبـــة : ولذلك أوكل الى أمر مراقبة اليهود ، فعهودهم كلا عهود .

عثمـــة : لا تختل علينا يا أبا خويلد ، فأنا قد تلفت يداى من تضميد الجراح .

خويلد : وفتاكما خويلد ، تعبت قدماه من السعى بين الخنادق لنقل الأوامر .

عقبـــة : رمتنى بدائها وانسلت ، دعى الصبى يكمل ، فالحديث عن رسول الله كالأغنية بين الحجون ، والصفا ، هات يا ولدى .

خويلد : احببنا أن ينطق سلمان ، وكنا حشدا حولهما .

عقبـــة : الدمع حديث القلوب يا ولدى .

خويلد : فضرب النبى على كتفه ، وشده الى صدره وقال : « سلمان منا اهل البيت » .

عثمـــة : بالايمان اعظم القربى ، ورب اخ لك لم تلده أمك .

خويلد : فشهق سلمان على صدر النبى ، ثم رفع بصره الى السماء وصاح : « الحمد لله الذى نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .

عقبـــة : كلام المؤمن الذى يرى الله فى كل شىء .

عثمـــة : ويتجافى عن ذكر المخلوق الى الخالق .

عقبـــة : حديثك ذو أبعاد يا ام خويلد .

عثمـــة : من فتح الله مغالق روحه ، انطلق لسانه بروائع الكلم يا عقبة .

خويلد : تكاد أمى تنافس حسانا ، وتواكب عليا .

عثمـــة : تابع يا خويلد ، تابع .

خويلد : ثم غمرنا جميعا شعور بغبطة فردوسية ، والرسول يردف بخشوع وجلال : « الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » وعندئذ . .

عقبــة : وعندئذ . .
خويلد : نطق سلمان ، وقال فداك ابى وامى يا رسول الله ، هذه حكمة من من فاطر السماء والأرض ، تذكرنى بما تعلمناه عن أساتذتنا اليونان فى جند يسابور .
عثمــة : أين تقع هذه ؟
عقبــة : على تخوم بلاد الفرس والحيرة ، فيها مدرســـة امتزج بتماليمها فكر اليونان وفكر المنطقة .
خويلد : وسمعت رسول الله يسأله عن حكمة اليونان .
عقبــة : وماذا قال ؟
خويلد : أردف قائلا : يا رسول اللـــــه ، من كلمات حكيمهم الكبيـــر صاحب الجمهورية أن النفوس كانت كريات ، تقسمت أنصافا ، ثم نثرت فى الكون ، فأصبح كل نصف يشتاق الى نصفه .
عثمــة : كلام اليونان ثقيل .
خويلد : فأجابه الرسول : (يا سلمان ، يا ابن أبى وأمى) .
عثمــة : يا لحبه الكبير !
عقبــة : تذكرى كلام الرسول : « ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » وأن المؤمنين أخوة .
خويلد : كلام رب العالمين غاية الغايات « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .
عقبــة : صدق الله العظيم !
خويلد : همس رجل فى سمع الرسول كلاما ، ثم ذهب ، ثم عاد الرسول الى الحديث فينا وهو يوجه كلامه الى سلمان قائلا : « ان فى الجســـم مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .
عثمــة : القلب ، القلب ، منبع المراحم .
خويلد : قالها الرسول وهو يدق بيده على صدره .
عثمــة : اتظن سلمان معنا يا ابا خويلد ؟
عقبــة : اصبح منا كالهواء ، والماء ، والشعاع .
عثمــة : وقومـــه ؟
عقبــة : قومه الله ورسوله والمؤمنون .
عثمــة : يا لها من نعمة لم نكن نحلم بها ، عقبة ، وعثمة يجالسان كبار الأوس والخزرج ، وابنهما خويلد يطارح السادة كلاما ، وقتادة يكلف بالمهام من الأمور .
عقبــة : أما سمعت الرسول يقول : « الناس سواسية كأسنان المشط ؟ » .
عثمــة : يا لله من فجر جديد ! لكن . .
عقبــة : لكن . . ماذا يا عثيمة !!
عثمــة : أخاف أن تتجمع الأحزاب مرة أخرى .
عقبــة : المحب خواف يا عثيمة ولكن الرأى غلب الشجاعة .
خويلد : هكذا سمعتهم يقولون فى مجلس رسول الله ، « الحرب خدعـــة » الرأى أن يجىء الهجوم مباغتا ، ولزوم السر احجى واضمن للنجاح .
عثمــة : سمعت أن قوما من قريش قدموا متخفين يدعون الرسول اليهم ، وهم

سينصرونه ، ليستولى على مكة .

عقبـــة : وماذا كان من أمرهم ؟

عثمـــة : ردهم الرسول ، واعدا خيرا ، وانه ربما فعل .

عقبـــة : متى ؟

عثمـــة : عندما تحيط بمكة جحافل ابن عبد الله ، عندئذ يكون النصر بدونهم .

عقبـــة : لنا بعد الأحزاب عدو لا ننساه ، لا وسط ، اما نحن واما هم .

خويلد : تقصد يهود يثرب ، وبنى النضير .

عقبـــة : وبنى قريظة ، وقينقاع ، وخيبر ، يوجدون أو نوجد .

خويلد : سمعت الرسول يقول فى مجلس البارحة : (ثلة من أمتى ستدخل البيت الأبيض ، مقر كسرى وآل كسرى) .

عقبـــة : قالها وهو يحفر الخنادق فى سمع سلمان والمهاجرين ، والأنصار .

عثمـــة : وماذا قال سلمان ؟

خويلد : كنت الى جانبه وهو يهوى بفأسه ، ويمسح دموعه بين الفينة والفينة ، ثم ذهل برهة ، وصاح : « ليتنى كنت معهم يا رسول الله لأرى كيف تكون عاقبة الظالمين ، وعقبى المجاهدين » .

عثمـــة : والوطن والأهل يا عقبة ؟

عقبـــة : يا عثيمة ــ ولتسمع يا خويلد ــ الأهل ــ والأوطان ــ والعشير ، حدود يا بنى تصد كل خير يدفق ليعم الناس جميعا ، ما أضر بقريش الا عصبية الجاهلية ، الانسان أخ الانسان يا بنى ، أسود ، أبيض ، أصفر ، لا فرق ، وقد من الله علينا بمحمد ليوحد العالم .

خويلد : وهل هذا ممكن ؟

عثمـــة : والله سبحانه يقول : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » ؟

عقبـــة : عندما يشاء الله سبحانه يخلق الأسباب ، فهاكها .

عثمـــة : اسمع .

خويلد : هات يا ابت .

عقبـــة : الاسلام خاتمة الأديان ، ومعنى ذلك انه سيشمل الدنيا .

عثمـــة : يا فرحتاه !

عقبـــة : بالشهادة توحيد القلوب بالايمان .
بالصلاة رياضة القلوب ، والأبدان على الايمان .
بالزكاة وحدة الغنى والفقر ، بنظام لا بطرفيه ، ولا جوع .
بالصوم مساواة بين البطون والنفوس .
بالحج شورى الناس للأحكام ، وابتهالهم الى الله سبحانه بلغة واحدة وعين واحدة ، ووجوه واحدة ، لإله واحد ، فالاسلام دين وشريعة .

عثمـــة : ما أحلى التوحيد فهو الحب الكامل .

عقبـــة : بذا يصبح دين الناس ، وساسة الناس ، ومال الناس وحدة تامة .

عثمـــة : وكيف لا يرضى هذا كبار قريش ؟

عقبـــة : العناد ، وحب الحفاظ على ما فى الخزائن .

عثمـــة : وكم حاولوا ثنى الرسول عن مراده !

عقبـــة : خابوا ، وخدعهم سرابهم .

عثمـــة : بربك ردد على مسمعى شعرك فيهم ، وفى رفض الرسول عروضهم .

خويلد : دعيه يرجع ما كان يترنم به ونحن نشذب نخلاتنا منذ شهور .

عقبــة : ما حاور به خديجة .
خويلد : هو ذاك .
عقبــة : —

سوف أدعو لها ، سلاحى : نعم ، لا — أنت ، هــل تؤمنين ، بنت خويلد ؟
بــك دنيــاى شعــة مــن يقيــن — واندفــاع عــلى الطــريق الموحــد
سوف نمضي ، لكنمــا كيف ؟ باثنين ؟ — ومــن رفقــة الطــريق الطــويل ؟
يا لك الله ! نحــن بالحــق أقــوى — مــن تحــدى الأقدار بالمستحيل
خــاطرى راعش الضــباب وكفــى — تلمس الشــوك فى شعاب الطريق
آه ، آمنت ، يورق الشــوك بالطيب — نديــا مــا دمت أنت رفيقــى
لأحس الحــوافر السمر فى الأرض — يجرحن شــامخ التيجــان
يصبغ الكــون لوننــا ، عربيــا — مستيفيضــا على خلود الزمــان

عثمــة : نفحة جاهلية يا عقبة .
عقبــة : لا بأس — واسمعى .

سر ولا تخش هــاك قلبى ومــالى — واحتمالى عــلى المجــال البعيــد
أى جــدوى فــى أن نمــــر ؟ — ولا يرتج من خطونا ضمير الوجود ؟

عثمــة : الله الله يا عقبة ، لأنت أشعر من حسان .
خويلد : والله يا أبت انك لشاعر ! لو أسمعت الرسول .
عقبــة : انما أنظم كلام الحبيب يا ولدى .
خويلد : زدنى يا أبت فقد طار النوم من جفونى ، ومد علينا الدفء رواقه .
عثمــة : ما أحلى سمرنا هذا ، جاء دورى يا عقبة ، ردد على مسمعى قولك فى حوار النبى مع قريش . آه ، عجبى لتأخر قتادة !
عقبــة : عندما جاءوا أبا طالب ليردع ابن أخيه ، ودعك من قتادة الآن فهو فى مهمة من الرسول :
عثمــة : وكيف حطم الرسول ضلالهم ؟
عقبــة : —

يا أبا طالب ، بنو عمك الأدنون جــاءوا اليــك فى أمر أحمــد
عم ، مهــلا بما توارث أجــدادك من منهــج أراه مســــدد
ان ترد بسطـــة من المــال تغمـــر أو ترم إمرة فأنت المســود
عم ، هات الدنى وضع فى يمينى الشمس ، والبدر منطو فى يسارى
سوف لا أنثنــى ، ولو خضب الليل حطاما على ضلــوع النهــار
ثم يلتفت صائحا :

دونكم باطل الأباطيـــل مــن حيف — ومــن حرفــة ، ومــن تجريــح
سوف أبقى فى الأرض للحق لكــن — أنتم تذهبــون نفخــــة ريــح

خويلد : يا أبت فدتك روحى .
عثمــة : آمنت بالله ورسوله .
عقبــة : واليكما قولى ساعــة خاطب الرسول الرعاة والصماليــك والناس أجمعيــن :
كلاهما : كلنا اسماع .
عقبــة : —

يا رعاة الفلاة ، يا رفقة الفجــر — وســمار أنجم فى العشايــا
أى صعاليــك من حفــاة عــراة — انفروا : انفروا خفاف النوايــا

اقبلوا اقبلوا بكل يتيم مستريب ، وكل ثكلى حزينه
واجمعوا البائسين حولى القى فى حناياكم شعاع السكينه
اخوتى اخوتى ، فتحت لكم روحى ملاذا لكل عان مشرد
سوف ابنى بكل وجودا من الصحو فلا جائر ، ولا مستعبد

خويلد : والله يا أبت لكأنى ارى خلاص العالم من شروره على يد الرسول الكريم .
عقبة : ولسوف تلتف حوله امم الأرض .
عثمة : هاك سلمان الفارسي ينسى وطنه وقومه ، ويقبل عليه .
عقبة : ولسوف يتجاوز الناس كل الحدود ، ويهاجرون من نفوسهم ، ومطامعهم الى الحق ، فيه وحده كل وطن ، واهل ، ومجد ، والله حسبنا وحسب كل مؤمن .
عثمة : انعيش الى يوم الموعد ؟
عقبة : يعيش اولادنا ، فهم يرون بأعيننا ، ويحسون بقلوبنا .
خويلد : ولكن يا ابت انى لنا بغلبة الفرس والروم ؟
عقبة : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .
عثمة : بإذن الله
عقبة : اذن الله يا بنى ، التوحد ، والاندفاع قلبا واحدا فى سبيل الله ، فما غلب قوم توحدوا ، وما انتصر طغاة او بغاة .
خويلد : والله للموت فى سبيل الحق أمجد حياة !
عقبة : الحياة من الله ، وبالله ، والى الله ، هى وحدها حياة .
عثمة : هاه ! هاه ! اقبل قتادة ، أحس وقع خطاه .
عقبة : رغم الريح ، وسمر الليل !
عثمة : لقلب الأم عيون وآذان يا عقبة .
قتادة : (يدفع الباب) سلام على أهل بيتنا .
الثلاثة : سلام على القادم المتخلف .
قتادة : القيام على تأدية الواجب طليعة يا أبوى ، ستسمعون كيف نقضى على ضلال اليهود الغادرين ، أولئك الذين يبيتون لكل الناس ، ولا يحبون الا شعبهم المنبوذ .
عثمة : اراك تعبا قتادة .
قتادة : أماه ، مدى لى فراشى ، سأنام قليلا لأنهض الى امر .
عقبة : ما أحلى النوم على المواعيد ، والأحلام !
عثمة : كل يقظة تنبع من أحلام الأصفياء يا عقبة .
خويلد : سأكون رفيقك يا قتادة .
قتادة : انك لا تزال حدثا .
عقبة : يكفيك الآن ان تختلف الى مجلس الرسول .
خويلد : دمى يرتعد ، ويرتج ، وليس على بأكبر منى سنا .
عقبة : قوموا الى النوم ، رعاكم الله .
خويلد : موعدنا الصبح معا يا قتادة .
عثمة : موعدنا جميعا كل ضياء .
قتادة : ان الصبح لقريب !

للأستاذ ابى الحسن الندوى من علمـاء الهند نقلنـاه من قبل بالعدد الحادى والأربعين فى باب : (قالت الصحف) :

الأمة العربيـة
صاحبة الرسالة الخاتمة

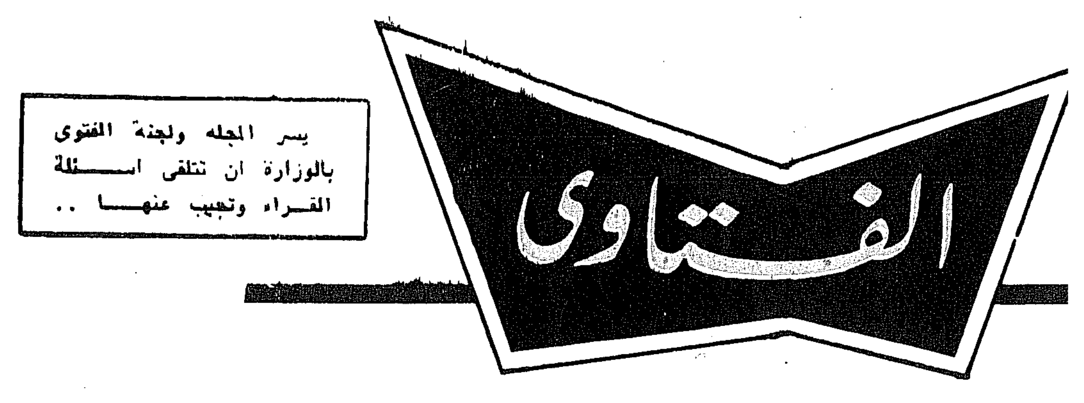
وجاء فى صحيفة الرائد التى يصدرها النادى العربى بندوة العلماء فى لكنو بالهند خطبة طويلة للسيد ابى الحسن الندوى فى طلابه نقتطف منها :

ان هذه الأمة سوف تبقى بعد هـذه النكبة ، أو النكبتين بل بعد خمسين نكبة — لا قدر الله — فاننى أعيذ سمعى وبصرى ، وأعيذ ايمـانى وعقيدتى أن تكون هناك نكبة بعد هذه النكبة ، واننى أعيذ الأمة العربية العزيزة أن تكتب لها نكبة أخرى بعد هذه النكبة .

ان هذه الأمة ايها الأبنـاء الأعزة تبقى مهمـا توالت النكبـات وتتابعت الأزمات ، صاحبة الرسالة الاسلامية ، وصاحبة النبوة الأخيرة ، صاحبة الكتاب الأخير ، صاحبة الأمانة الأخيرة ، صاحبة الاتصال اتصال الارض بالسماء .

ان هذه الأمة العربية ولو نكبت بأعظم من هذه النكبات — كما قلت لكم — ولو اقصيت من ميدان القيـادة العـالمية ، لا تزال موضع الثقة فى التـاريخ الاسلامى ، هى موضـع الثقة فى تاريخ البعث الاسلامى ، موضـع الثقة فى التاريخ الانسانى انها اكرم امة ، واغنى امة ، وأشرف أمة فى أخلاقها ، أبى الله ان تضيع فى هذه الزلازل والنكبات .

انه لا بقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد ، وشرع فى لغتها هـذا الدين العـالمى ، اندثرت أمم فاندثرت أديان ، وقد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين — قد تندثر أمة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العـالم ، فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به ، وقد يندثر دين لأنه قد ادى رسالته وفقد صلاحيتـه ، ثم تندثر هذه الأمم التى كانت تدين به ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قال : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاذا كان هذا الكتاب مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله (ان علينا جمعه وقرآنه) فقد تحقق أن هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله تعالى مكفولة البقـاء . مكفولة الحياة ، فانه لا فائدة فى بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة ، واذا ضاع أهلهـا فمن يفهمه ؟ ومن يفسره ؟ ومن يعرف مبادئه ومضمراته ومكنوناته ؟.



السؤال :

هل يجوز شرعا اعطاء زكاة الأموال وغيرها بما فيها صدقة الفطر الى الفدائيين ؟

أحمد نايف شبير
معهد المعلمين ــ الكويت

الاجابة :

الزكاة ركن من اركان الاسلام وثابتة بالكتاب والسنة قال تعالى : « وآتوا الزكاة » وقال صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس ــ وعد منها الزكاة وأجمعت الأمة على فرضيتها وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، وهى تزكية النفس وتطهيرها قال تعالى : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . وتشمل الزكاة كل ما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى المحتاجين .

ومن المعلوم أن الفدائيين الذين ذكرهم السائل يقصد بهم الذين يجاهدون لتحرير بلادهم والذين حضروا من بلاد اخرى ويجاهدون لتحرير القدس والأماكن المقدسة وباقى الأجزاء العربية المحتلة ولحماية اموالهم المسلمين هذه اليهود الذين اغتصبوا بلادهم ، ولا شك انه فى هذه الحالة يجب على المسلمين فى جميع بقاع الأرض الجهاد بالنفس والمال فوق ما يجب عليهم من اعطاء زكاتهم كلها أو بعضها للمجاهدين فى سبيل الله كالفدائيين وغيرهم ممن يجاهدون لتحرير بلادهم الاسلامية المحتلة ، لأن هذه الجهة احدى الجهات التى نصت الآية الكريمة على صرف الزكاة اليها بل انها فئة اولى فى هذه الأيام ، قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . وقد شرع الجهاد فى الاسلام دفاعا عن كلمة الله وعن أرض المسلمين وأعراضهم وأموالهم .

السؤال :

رضعت بنت فى سن الارضاع أكثر من خمس رضعات متفرقات مشبعات من زوجة عمها ويريد شقيق البنت أن يتزوج من بنت عمه التى لم ترضع من والدته أو من زوجة أخرى لأبيه .

فما حكم الشريعة ؟

الاجابة :

برضاع البنت من زوجة عمها تكون اختا من الرضاع لجميع أولاد زوجة عمها

واولاد عمها حتى من غيرها ، وتحرم حينئذ على جميع اولاد عمها ولا يمتد التحريم على اخوتها لأنهم لم يرضعوا من زوجة عمهم وحينئذ فلا مانع شرعـــا من أن يتزوج اخوها من بنت عمه لعدم اجتماعهما على ثدى واحد .

فى الميـــراث

السؤال :

توفى شخص عن :
أخت شقيقة ، وأخت لأب ، وأولاد ابن عم شقيق .
فما نصيب كل وارث ؟

ص. م. س

الاجابة :

بوفاة المتوفى عن الورثة المذكورين يكون توزيع تركته على النحو الآتى : للأخت الشقيقة النصف فرضا وللأخت لأب السدس تكملة الثلثين والباقى لأولاد ابن العم الشقيق الذكور تعصيبا بالتساوى بينهم .

السؤال :

توفيت امراة عن :
زوج وأولاد أخ شقيق وعمة
فما نصيب كل وارث ؟

م. ع. و

الاجابة :

بوفاة المتوفى عن الورثة المذكورين يكون توزيع التركة على النحـــو التالى : للزوج النصف ولأولاد الأخ الشقيق الذكور الباقى تعصيبا بالتســـاوى بينهم ولا شىء للعمة .

السؤال :

توفى والدى عن :
زوجة وثمانية أولاد اربع اناث واربعة ذكور ، واب ، وأم . وتـــرك (١٠٠ دينار) مائة دينار فما نصيب كل وارث عن هذا المبلغ .

م. ع
وزارة الاوقاف

الاجابة :

بوفاة الوالد المذكور عن زوجته وامه وابيه واولاده الأربعة الذكور والأربعة الأناث يكون توزيع تركته البالغ قدرها (١٠٠ دينار) على النحو الآتى :

		فلس/دينار		ف/د
١ ــ لزوجتـــه الثمن فرضـــا	وقدره	١٢/٥٠٠		
٢ ــ للأب السدس فرضـــا	وقدره	١٦/٦٦٦		
٣ ــ للأم الســـدس فرضـــا	وقدره	١٦/٦٦٦		
٤ ــ الباقى للأولاد نصيب الذكر ضعف الأنثى		٥٤/١٦٨	فيخص الولد	٩ر٠٢٨
			ويخص البنت	٤ر٥١٤



بإشراف : الشيخ رضوان البيلي

ابن صياد

يتسلى العامة عندنا فى القرى والكفور بقصص شعبية كثيرة . كقصة سيف بن ذى يزن ، والزير سالم والظاهر بيبرس . وقصة ابن صياد .

وتتحدث هذه القصة الاخيرة عن بطلها « ابن صياد » وتنسب اليه كثيرا من خوارق العادات ، وتزعم أنه اجتمع بالرسول عليه الصلاة والسلام ، وتحدث معه . فمن هو ابن صياد هذا ؟ وهل هو شخصية حقيقية أم خيالية ؟ وهل صح ما ينسب اليه من اجتماعه برسول الله صلى الله عليه وسلم .

محسن شبيطة ــ المنزلة

ج٠ ع٠ م

ابن صياد هذا شخصية حقيقية عاشت فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، وهو يشبه الى جد كبير هذا الصنف من الناس الذين لا تكاد تخلو منهم بلد من البلاد أو قرية من القرى . يبدو عليهم البله والعته ، ويلبسون الاسمال البالية والمرقع من الثياب وتجرى على ألسنتهم كلمات وعبارات هى خليط من الجد والهزل والعقل والهوس . يطوفون بالجسور فى الحر والبرد والليل والنهار ويجلسون فى المقابر ويبيتون فى العراء ، ويجوسون خلال الأزقة والحارات ، ويدخلون الدور دون حجاب ولا استئذان ، يتبرك بهم العامة ، ويلتف حولهم السذج والبسطاء ، ولهم تأثير كبير على النساء الجاهلات ويعتقد الجاهلون فيهم ، ويخلعون عليهم القابا ونعوتا ــ أولياء الله . مكشوف عنهم الحجاب ــ ويلتمسون التفسير والتخريج لما يصدر عنهم من كلمات وأفكار مشوشة مضطربة .

ابن صياد هذا من هؤلاء الصنف من الناس الذين يفتتن بهم العامة ، وأقل ما توصف به تصرفاتهم هو الخبل والجنون والهوس ، وهو كما تقدم عاش فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة وكان موضع فتنة لبعض المسلمين ، فمنهم من ظن أنه المسيخ الدجّال ومنهم من توهم أنه ولى من أولياء الله ومنهم من اتهمه ومنهم من توقف فى أمره ، وهذا شأن المجتمع فى كل زمان

وبيئة مع هذا النوع من الناس .

ولما شاع أمر هذا الرجل فى المدينة اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختبر حاله ويكشف حقيقة أمره للمسلمين .

جاء فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بصبيان . فيهم ابن صياد ، ففر الصبيان ، وجلس ابن صياد ! . . فكأن رسول الله كره ذلك ، فقال له صلى الله عليه وسلم « تربت يداك . . أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا . بل تشهد انى رسول الله ! فقال : عمر بن الخطاب « ذرنى يا رسول الله حتى أقتله » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان يكن الذى ترى فلن تستطيع قتله . . وكان عمر يظن أنه الدجال .

وعن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند اطم بنى مغالة (بناء مرتفع لبطن من الانصار) وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ، ثم قال رسول الله لابن صياد : أتشهد انى رسول الله ، فقال : أشهد أنك رسول الأميين ، ثم قال ابن صياد : أتشهد أنى رسول الله ؟ فرفضه رسول الله ، وقال « آمنت بالله وبرسله ، ثم قال له : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتينى صادق وكاذب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلط عليك الامر ، ثم قال له : اننى خبأت لك خبيئا ، فقال ابن صياد هو الدخ فقال له الرسول اخسأ ، فلن تعدو قدرك ، فقال عمر : يا رسول الله اضرب عنقه فقال له أن يكنه (يعنى الدجال) فلن تسلط عليه ، وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله .

وقد تكشف أمر هذا اليهودى الدعى ، واعتزله الناس اتقاء فتنته وأحس ابن صياد بأنه أصبح منبوذا من المجتمع فضاقت به السبل ، وسئم حياته حتى حدثته نفسه بأن يقتل نفسه ، وقد اختفى هذا الرجل الكذاب الدجال المشعوذ من حياة المجتمع فى المدينة ، ولم يبق فى الناس الا قصته التى تحذر الناس من الانخداع بالصرعى والوقوع فى حبائل المخبولين « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض .

بقيت لنا كلمة أخيرة فى المعطيات غير المقررة لهذه الرسالة ، أو فيما بين السطور — كما يقولون — انا لنعلم الظروف التى راجت فيها هذه القصص بين العامة ، وانها الفت أو جمعت لتسد الفراغ الثقافى أو الخواء الروحى ، وتلك امة قد خلت أما الآن فان الدنيا تغيرت ، ومن العجب أن يوجد فى المسلمين عموما وفى مسلمى المنطقة العربية خاصة من يشغل نفسه بمثل هذه القصص ، قد يقول المتفلسفون انها صور شعبية أو فلكلورية يجب أن تبقى ، ومن العجيب أن يستعلن الهوس والخبل ، ويتوارى العقل والحكمة . . أليس ما حدث فى المنطقة العربية . . أحداث جسام مانعا وزاجرا عن الاشتغال بما

يضر ولا ينفع ؟ هل يوجد لدى مسلم الآن وقت يقضيه فى سماع الف ليلة وليلة وابن صياد وما الى ذلك . . الا يسمع الدعاة واجهزة الاعلام .

لا تناقض

اثناء قراءتى للقرآن الكريم اقف عند بعض الآيات . لانى لا استطيع فهمها لما يبدو من الاختلاف بينها ومن هذا قوله تعالى « هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون » وقوله عز وجل : « وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون » فالآية الاولى تدل على انهم لا يتكلمون يوم القيامة والآية الثانية تفيد انهم يتكلمون . فكيف هذا ؟

مدرس بالكويت

الناس يوم القيامة يتكلمون . وأهل الجنة فى الجنة يتكلمون ، وأهل النار فى النار يتكلمون . يدل على هذا القرآن الكريم والسنة الصحيحة . والآية الأولى لا تنفى النطق مطلقا ، وانما تنفى النطق النافع المفيد ، وهذا اسلوب سائغ فى لغة العرب . تقول : خرس فلان عن حجته ، وتقول تكلم فلان كثيرا ولكنه لم يقل شيئا ، فالذى وصف بالخرس نطق وتكلم ولكن كلامه لم يثبت حجته ، والذى نفى عنه الكلام تكلم بكلام كثير ، ولكن المستمع لم يستفد منه شيئا . والكفار يوم القيامة يتكلمون وينطقون ويعتذرون ولكن كل هذا لا يفيدهم ولا ينفعهم فلا يستمع لهم ، ولا يقبل اعتذارهم .

ومن هذا القبيل قول الشاعر العربى :

اعمى اذا ما جارتى خرجت ويصم عما كان بينهما
حتى يوارى جارتى الخدر سمعى وما بى غيره وقر

فلا تعارض ولا اختلاف بين الآيات ، وصدق الله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .





يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

مكانة السنة فى الدين الإسلامى

تلقينا من الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم كلمة بهذا العنوان نقتطف منها ما يلى :

قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

قال ابن القيم : اقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان على العباد حتى يحكموا رسوله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلى ولم يكتف فى ايمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا .

وقال الامام الشافعى : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضى النبى صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص فى القرآن .

فكل ما جاء به الرسول واثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله فى قرآنه باتباعه . وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفى قوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وأخبر تعالى أن الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : (لقد من الله على المؤمنين أذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرها بالعطف وهى فى مقام السنة ولم يوجب علينا الا أتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا آخر غير السنة : (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) وحب الله فى أتباع الرسول وسنته .

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

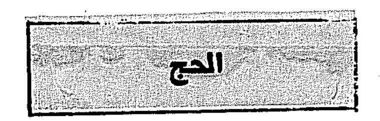
فالقرآن هو الاصل فى الدين الداعى الى السنة والسنة هى الاصل الثانى فى الدين المبينة للقرآن المفصلة لاجماله والمستقلة بالتشريع فبها يعرف مثلا

اوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن بل اجمله بالأمر بالصلاة كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثال تحريم نكاح المراة على عمتها او خالتها وتحريم الأهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير الا انمثل هذه الامور يمكن أن يقال بأنها ليست مستقلة استقلالا تاما عن القرآن حيث أن الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته وأخرج أبو داود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال فاستحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله — زاد أبو داود — (الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه (والمماثلة للكتاب هى السنة) ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى وهما اصل مصادر التشريع وهما ميزان العدل الالهى الصادق وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت ان يقيموا اعمال الأفراد والجماعات والأمم ولا يكون الاعتدال الكامل فى الأخلاق والمعاملات والعبادات والا بالكتاب والسنة .

وقد توفى الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى اشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة وتوفى وهو مطمئن الى انه تركهما لنا ميزان حق وصدق ولن نضل ما تمسكنا بهما .

قال صلى الله عليه وسلم :

« تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى — كتاب الله وسنتى » .



الحج

وتلقينا من الدكتور محمد فوزى فيض الله كلمة تحت هذا العنوان :

الحج فريضة مقدسة ، وشريعة محكمة ، اشتملت شعائره كلها على حكم بالغة ، تستهدف فى جملتها تصفية النفوس ، وتطهير القلوب ، وتاصيل العقيدة ، وتثبيت جذور الايمان فى النفس المؤمنة .

واول ما يلفت النظر فى مواقفة مشاهدة لبوس الاحرام الخاص البسيط المختصر ، المتكون من ازار ورداء ، انه ينبىء عن التجرد من الدنيا وزخرفها ، وهذه الحياة وتعقيدها ، والاقلاع عن النعيم الباطل ، والترف الزائل ، انه ترك النفس حظوظها ، والهجرة الى رب العالمين ، بعبادة مخلصة لا تشوبها سمعة ، ولا يخالطها رياء ولا يفسدها غرور او ظهور ، ولا تقف دونها رغبة ولا متاع .

كم ذا يذكر هذا المظهر بالبعث يوم النشور ، يقوم الناس لرب العالمين؟ وكم توحى هذه الكتل البشرية المتلفعة بأبسط لباس ، بأن هذه الدنيا الفانتة

الفاتكة ، الغدارة الغرارة ، صائرة الى زوال محتم؟ وكم فى هذا من عبرة ودرس ، وحث على العمل الصالح ، والتزود لليوم الرهيب القريب ؟ ثم كم فى هذه الصورة الحية من تطبيق دينى عملى للمساوات بين الناس ، من حيث قيمتهم الانسانية المشتركة ، ومظاهرهم الموحدة ، وايحاء بأن التعاون بين افراد الحجيج ليس الا بالنظر الى ما تضمه تلك الأزر والأردية ، من قلوب عمرها الايمان وضلوع انحنت على اليقين ، ونفوس استقرت فيها التقوى .

وهذا الطواف حول البيت العتيق ، لا يقل فى عمق فكرته واصالتها ، وشرف غايتها عن الاحرام .

ان الطواف من طبيعة الكائنات ، وان الطواف من فطرة هذا الكون الذى فطره خالقه ، وفطر له سنة الطواف :

الاقمار والكواكب — فى المجموعة الشمسية — كلها تطوف وتدور فى مساراتها المحكمة المنظمة : القمر يدور حول الارض ، وأقمار المشترى تدور من حوله ، والارض وأخواتها من السيارات كلها تدور حول الشمس دورانا متصلا لا ينقطع ولا يمتنع وبهذا الدوران صلح امر الوجود « ذلك تقدير العزيز العليم » .

والمسلمون يطوفون حول البيت ، يهرولون فى طوافهم ، يفيضون جدا ونشاطا ، وتتجلى فيهم القوة والفتوة ، فيرهبون اعداء الله ، بجلدهم القوى ، وعزمهم الفتى ، وتقللهم من الزاد ، والتفافهم حول بيت رب العباد ، ومصافحتهم الحجر الاسود . ان فى ذلك لتجديد البيعة لله ، ومعاهدته بنصرة دينه ، والتفانى فى سبيله .

والسعى بين الصفا والمروة ، والهرولة فى هذا الانطلاق ، وشرب ماء زمزم ، عبرة وذكرى .

اسكن ابراهيم — عليه السلام — ذريته بواد غير ذى زرع ، على مقربة من البقعة التى أقام عليها فيما بعد الكعبة ، وذهب الى حيث يدعو الى سبيل ربه ، ويقيم الدين ..

عطشت زوجه (هاجر) وخشيت عاقبة العطش على وليدها (اسماعيل) ، فانطلقت تتفقد الماء ، هنا وهناك بحرارة واتقاد ، تعلو مرة وتهبط اخرى ، بين الصفا والمروة ، يدفعها حنان الامومة الرحيب ، اذا يئست أو كادت ، شق الله لها الارض بجانب الوليد ، فتفجر لها الماء ، ونبعت زمزم بجواره السعيد .

ان الانسان يكدح فى الحياة ، ولا بد أن يكدح ويكد لطلب الرزق ، ولكن ليعلم أن رزقه بيد الله ، وما يتنزل الا بأمره ، ولا تستنزله الحيلة ، ولا يستلزم الجد : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » ، « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب » .

والوقوف بعرفة ، موطن الاجابة ، ومثوى الانابة ، والجهر بالدعاء ، والالحاح فى المسألة ، والالحاح فى طلب المغفرة .. انه ابرز صورة لأخطر مشهد من مشاهد القيامة !!

ان اجتماع الملايين يوم عرفة ، ساعات حاسمة مباركة مشهودة ، فى هذا الموقف الرهيب الموحد ، بقلوب صادقة ، والسنة ناطقة ، وافعال حميدة ، ونيات مخلصة رشيدة ، والوجهة واحدة ، للاله الواحد ، لهو من أقوى أسباب المغفرة والرضوان . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ قال : « والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

اولاد النكبة ظهروا فى أثينا

نشرت صحيفة السياسة الكويتية تحت هذا العنوان : الفدائيان اللذان فجرا الطائرة الاسرائيلية فى مطار أثينا فى العشرينات من العمر ، وهذا العمر هو بالضبط عمر القضية ، اذ كانت نقطة انطلاق هذا العمر هو سنة ١٩٤٨ — ومعنى ذلك أن الجيـــل الفلسطينى الجديد يعيش قضيته كالجيـــل القديم الذى عاصرها بكل مفارقاتها وقسوتها ومآسيها . وهذه السن بالنسبة لهذين الشابين تعنى أن النظـــرية التى تقول بأن المشـــاعر الفلسطينية التى تحن الى العودة ستنتهى بانتهاء الجيل القديم لم تعد نظرية صالحة للحكم النهـــائى على القضية نفسها .

والحادث نفسه — اى حادث الطائرة — وما سيصاحبه من ظروف سياسية واذا ما استغل بمهارة ودقة فانه سيدفع بالكثير من الشباب الفلسطينى الى التجمهر حول قضيته .

ويبدو انه لن تكون كافية تلك البلاغات العسكرية التى تصدرها المنظمات الفدائية داخل الارض المحتلة لأن هذه البلاغات لا تحوى شيئا ملموسا كحادث الطائرة الذى دعمت حقيقته وكالات الانباء والاجراءات القضـــائية اليونانية ، وكذلك ما تركه الحادث من ردود فعل فى الاوساط الدولية ، وهو بهذا يختلف كلية عن الاحداث الكثيرة التى تجرى فى الارض المحتلة ، والتى تنفيها فى العادة مصادر العدو او تخفى آثارها عن الناس — وهى آثار لها أهميتها فى تحريك المشاعر الفلسطينية الشابة والتى قد تدفعها مطامحهـــا الى الرغبة فى تقليد الاعمال الخارقة وغير الاعتيادية . .

والمطلوب من اجهزة الاعلام الفلسطينية استغلال هذا الحادث — اى حادث الطائرة — الى شحذ المشاعر الفلسطينية الشابة الطامحة وان كان هذا الحادث لا يمثل على المستوى العربى الرسمى عملا منطقيا ، على اعتبار ان الحكومات العربية تتعامل وفق معايير خاضعة فى مجملها للقوانين الدولية التى يفترض ان تطبقها الدول الصغيرة ، والتى يهمها أن تسير العلاقات الدولية ضمن اطـــار (البروتوكول) والتقاليد المتعامل بها ، وهى صورة لتعامل رسمى دقيق لا يمكن للعمل الفدائى والثورى ان يتقيد به سيما وأن هذا العمل الفدائى الثورى تدفعه مطالب شرعية .

ولعل ما يشفع لفدائيى الجبهة الشعبية لدى حكومة اليونان ، هو ان مثل هذا العمل مارسته اليونان فى سبيل حريتها ومارسته دول أخرى ، كفرنسا —

كما أن الفدائيين لم يكن امامهما من مطارات عملية لمثل هذا الحادث غير مطار أثينا وقد لا يكون غريبا ان يمتد هذا العمل لأكثر من مطار أوروبى .

الحارس اليقظان

ونشرت مجلة الاعتصام القاهرية تحت هذا العنوان تقول : هل يستطيع الانسان أن يهرب من ضميره بسهولة !! الحق اقول لكم : انه فى حالة واحدة لا يستطيع ..

حينما يكون ضميره حيا يشع باليقظة ويجيش بالاحساس واذا كان الامر كذلك فلنتأمل معا هذه القضية :

نحن نلاحظ أن مجتمعنا الانسانى يموج بنوعين من الجريمة متباينين : جريمة مستورة يقترفها صاحبها فى طى الكتمان دون أن يشعر به انسان .. وجريمة منظورة يجد صاحبها من العوامل والظروف ما يحمله على الجهر بها والانسياق فيها الى نهاية الطريق .

ولقد تكفل القانون الارضى بمكافحة الاخيرة والقضاء عليها بصولة العقاب الصارم فى محيطنا الدنيوى .

وتصدت الاديان السماوية لمحو الاولى بصوت الضمير الحى وخشية الحساب الدقيق فى العالم الاخروى .

اذن .. فأولئك الذين جفت فى نفوسهم الخربة بذور الفهم الصائب لرسالة الاديان ومقومات الانسانية ودعائم سعادتها طوال هذه الحياة .. حين يحاولون هدم الاسس الدينية وتهيئة الاسباب لتحطيم قلاعها الشامخة وزحزحة معانيها وتأثيرها من دائرة المجتمع البشرى .. انما يساعدون على نطاق واسع فى نشر شق من الجريمة جد خطير .

فلو استحق هادم القانون الوضعى النبذ من المجتمع الراقى والقسوة المرة من سدنته والساهرين على حفظه وصيانته فأحق منه — فى رأى — بالطرد والزراية هو هادم هذه العقائد الابدية والساعى لتشويه جمالها ، ذلك لأن تأثير الاديان السماوية فى مطاردة الجريمة .. أجدى وأنفع من سطوة القوانين الوضعية .. ما فى ذلك من شك !! فالاقلاع — هناك نتيجة لوحى الفطرة القويمة وتوجيه الضمير اليقظان والشعور المرهف بفداحة ما تجترحه يداه من خطايا وآثام !! والاحجام — هنا وليد — الجبن والخور وخوف الانسان المشين من وطأة المواد القانونية والتى اخترعها انسان مثله لا يفترق عنه فى الطبائع والخصال .

وحينما يأمن هذا الجانب فلن تسلم الدنيا من بطشه وآذاه .

واذا كانت الاديان السماوية المتعاقبة بين البشر منذ فجر التاريخ الانسانى قد تكاتفت تكاتفا قويا والتفت حول هذه الغاية الرائعة فوجهت تلك الضربات القاصمة نحو هذا الجانب البالغ الخطورة من الجريمة المستورة فان دين الاسلام الخالد قد وضع الله فيه من الخصائص الفذة ما جعلته يحمل بين ثناياه من العناصر القوية والبذور الحية ما يمكنه من محاربة الجبهتين والقضاء على الجريمتين معا : المستور منها والمنظور فوفر لمجتمعه فى فترات عديدة جوا من الشفافية والصفاء وحسن التدبير ..

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت ..

- عاد سمو امير البلاد المعظم من زيارته الرسمية الى الولايات المتحدة الأمريكية وقد اجرى حفظه الله اثناء الزيارة مباحثات مع الرئيس جونسون والرئيس المنتخب نيكسون وقد تبرع سموه بمائة الف دولار للمركز الاسلامى بنيويورك وخمسين الفاً للمركز الاسلامى بواشنطن .
- سلم مندوب من وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية حدود الأرض التى تبرع بها سمو امير البلاد المعظم الى المقاول الذى سيقوم بتنفيذ مدينة الحجاج الكويتيين .
- تسلمت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية من وزارة الأشغال عدة مساجد جديدة فى مختلف مناطق الكويت .
- بعثت الكويت بمساعدات ضخمة من المواد الغذائية والبطاطين للنازحين بالأردن .
- اجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثقافى العربى الثامن يوم ٦٨/١٢/٢٥ للتحضير لهذا المؤتمر الذى سيحضره مندوبون عن الدول العربية وسيحدد موعده فيما بعد .
- قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ ٩٣٫٠٠٠ جنيه استرلينى معونة للطلبة الفلسطينيين والاردنيين الذين انقطعت مواردهم للعام الدراسى القادم .
- أصدرت وزارة البريد والبرق والهاتف طوابع بريد تذكارية بمناسبة ذكرى مرور الف واربعمائة عام على نزول القرآن الكريم .

القاهرة ..

- رفعت لجنة النشاط الدينى توصياتها الى وزير التربية وتتضمن التاكيد على أن يكون العاملون فى مجال التربية قدوة حسنة والتزام الحشمة فى الزى المدرسى وضرورة تعديل برامج الاذاعة والتليفزيون لتؤدى واجب التوجيه الخلقى والدينى .
- بعث الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف رسائل الى مديرى المعاهد الازهرية ليوافوه بتقارير كاملة عن المناهج الدراسية فى المعاهد الأزهرية بعد قانون التطوير .
- بدىء فى تنفيذ مشروع مسجد الفتح بميدان رمسيس بالقاهرة ويتكلف بناؤه ٣٠٠ الف جنيه ويسع الفى مصل وسيكون ارتفاع مئذنته ١٤٠ مترا ويلحق به متحف اسلامى كسجل للمعارك والشهداء والامجاد الاسلامية .
- ابدى حاخام يهودى امريكى — أثناء وجوده فى مصر — اسفه على الخرافات التى تشيعها الصهيونية عن العرب كما ابدى تألمه كامريكى على ان تكون السيطرة الأمريكية عاملا من عوامل عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط .
- تعقد وزارة الأوقاف مؤتمرات دينية فى المحافظات للتوعية الدينية وتعبئة الشعور للجهاد المقدس .

السعودية ..

- بدأت وفود حج بيت الله الحرام تتوافد على البلاد وقد استعدت المملكة لاستقبالهم والعمل على راحتهم وقد بحثت شركة الطيران الوطنية مع المجلس الاعلى للطيران المدنى اللبنانى تخفيض اجور السفر للحجاج .
- تقيم المملكة العربية السعودية التجمع الكشفى العربى الاسلامى الثالث خلال موسم الحج لعام ١٣٨٨ وقد دعت اليه عديدا من الدول العربية والاسلامية .

العراق :

اعلنت حكومة العراق تاليف محكمة ثورة للنظر فيما قيل من ضبط شبكة تجسس لحساب اسرائيل ، وقد اتهم فيها بعض كبار الشخصيات العراقية .

عزلت الحكومة بعض قادة الجيش وعينت آخرين محلهم ..

الأردن ..

اتخذت السلطات الأردنية احتياطات هامة للتخفيف من اثر العواصف والأمطار على النازحين بعدما اقتلعت الرياح بعض خيامهم فى مدينة السلط وتسببت فى تصدع بعض المنازل .

تلقى الملك حسين انذارا من اسرائيل - بواسطة سفير غربى - تطلب فيه القضاء على الفدائيين وسحب القوات العراقية من الأردن .

وسع الفدائيون الفلسطينيون نطاق مقاومتهم للاحتلال الصهيونى الى خارج البلاد حيث دمر اثنان منهم طائرة اسرائيلية بوينغ ٧٠٧ فى مطار اثينا بعدما ساهمت شركة الطيران الاسرائيلية فى اعمال عسكرية ضد العرب .

شرعت وزارة الأديان الاسرائيلية باجراء حفريات فى الطرف الشمالى لحائط المبكى عابثة بمدخل الحرم الشريف .

قبل الملك حسين استقالة ستة من الوزراء من بينهم العالم المجاهد الشيخ عبد الحميد السائح !

لبنان ..

اصدر المؤتمر الدولى للقانون والانماء الاقتصادى والاجتماعى الذى انعقد فى بيروت فى اواخر ديسمبر الماضى عدة قرارات من اهمها اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا لجميع التشريعات العربية لما تمتاز به من مرونة كبيرة .

قامت اسرائيل بهجوم على مطار بيروت بواسطة الهليوكبتر ودمرت واحرقت مخازن الوقود وثلاث عشرة طائرة لبنانية واستمرت العملية خمسة وأربعين دقيقة !!

السودان ..

قدم جمع من علماء الدين المسلمين دعوى الى المحكمة الشرعية فى الخرطوم للتحقيق مع السيد محمود طه فى المحاضرة التى القاها بمعهد المعلمين ابان المظاهرات الصاخبة اول الشهر الماضى

بعث عدد كبير من المواطنين برقيات الى مجلس السيادة السودانى والصحف يطالبون فيها بان يكون شكل الدولة جمهورية اسلامية ذات دستور اسلامى وتحريم الشيوعية والالحاد .

ليبيا ..

بعثت وزارة الخارجية الليبية برقية الى المركز الاسلامى بكاليفورنيا تزكى فيها الحملة التى يقوم بها المسلمون فى الولايات المتحدة لاقامة هذا المركز وكان بعض التجار الليبيين قد تبرعوا للمركز بمبالغ مختلفة .

احتفلت ليبيا خلال الشهر الماضى بعيد استقلالها واقامت عرضا عسكريا بهذه المناسبة .

الجزائر - خصصت الجزائر اسبوعا لفلسطين تولى فيه ائمة المساجد الدعوة الى الجهاد كما تولت الاذاعة والتليفزيون شرح القضية الفلسطينية ودور الفدائيين وقد جمعت التبرعات للمنظمات الفدائية الفلسطينية .

باكستان - عقد فى كراتشى فى اواخر الشهر الماضى مؤتمر قمة حضره الرئيس ايوب خان وامبراطور ايران ورئيس وزراء تركيا وقد بحثوا مشكلة فلسطين والوضع فى الشرق الاوسط عامة .

ماليزيا - بعثت ماليزيا مذكرة رسمية الى الدول العربية والاسلامية تدعوها الى مؤتمر قمة اسلامى تقترح عقده فى كوالا لامبور لبحث قضية فلسطين بين زعماء المسلمين وبحث مسائل اسلامية اخرى .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ **السيد محمد قائد محمد**

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبه بحرى ص.ب ٥

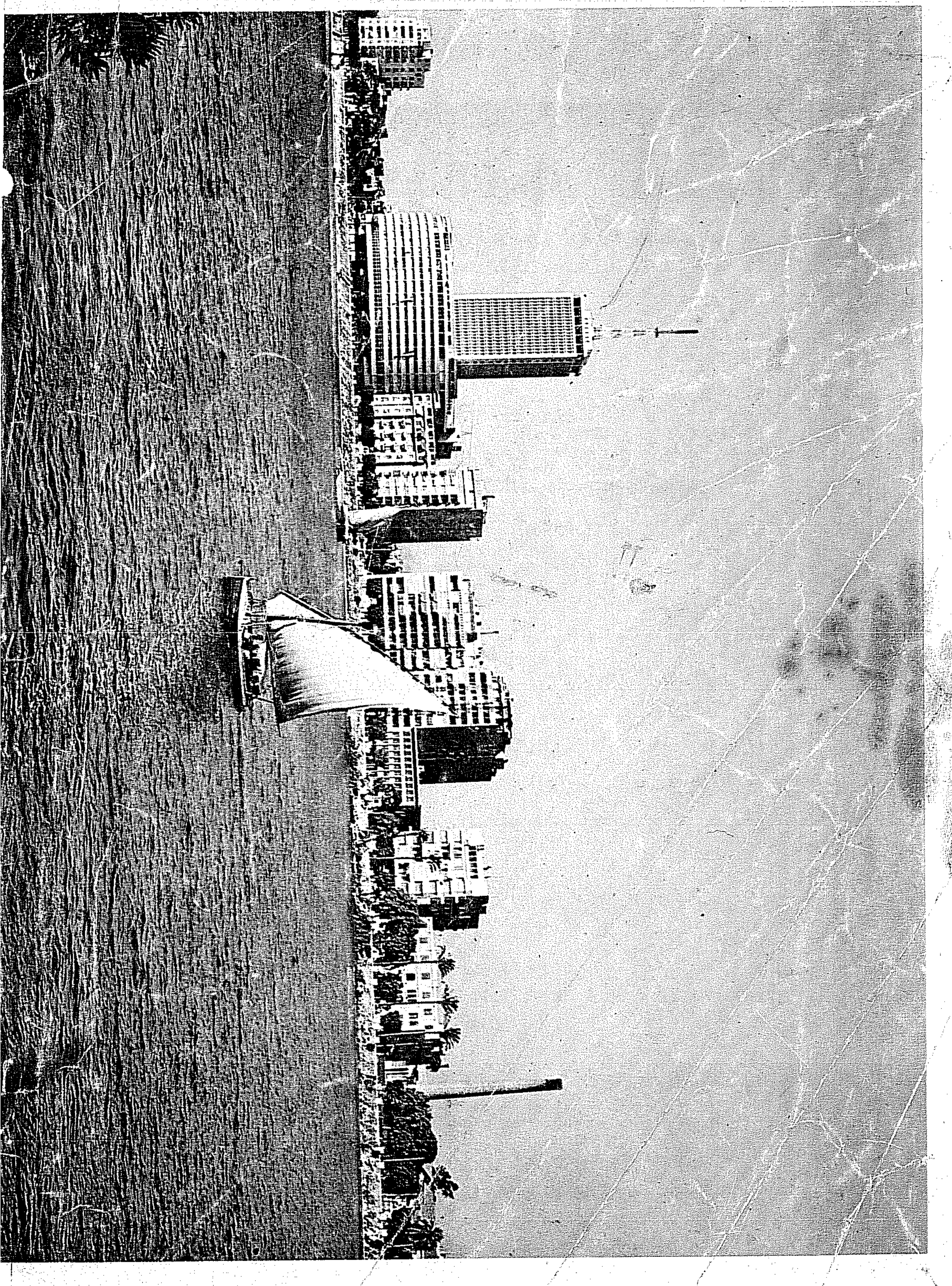
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر لنهر النيل وهو يمر وسط مدينة القاهرة ويظهر فى الصورة مبنى التلفزيون ..